الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
الثقافة والارشاد القومى

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٧٠ الخميس ٧ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ ـ ١٦ يوليو ١٩٦٤ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

النبى الثائر

للدكتور محمد احمد خلف الله

كانت دعوته ثورة فكرية أولا وقبل كل شىء .

كانت ثورة على المعتقدات الدينية التى كان يدين بها العرب فى الجاهلية من الشرك والوثنية .

وكانت ثورة على الانحرافات الدينية التى ألمت بالديانات الكتابية ـ وبخاصة اليهودية والمسيحية .

وكانت ثورة على الأوضاع الاجتماعية فى الجزيرة العربية ـ وبخاصة الوضع الرأسمالى فى البيئة التجارية المكية .

وكانت ثورة على الأغلال التى ضربها رجال الدين على العقل البشرى يكبلونه بها ويحولون بينه وبين الفكر الحر الطليق .

كان رجال الدين يحتكرون لأنفسهم ولمن يرضون عنه خيرات السماء وخيرات الارض ـ وكانت وسيلتهم الى ذلك دفع الناس الى التسليم بأنهم وحدهم الذين يعرفون ارادة السماء ، وأنهم وحدهم الذين يستطيعون تفسير النصوص المقدسة التى عبر بها الاله عن ارادته .

وكان اليهود فى ذلك الوقت يمضون الى أبعد من هذا فكانوا يدعون بأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن النبوة محصورة فيهم ، وأن الكتب المقدسة لا تنزل الا عليهم ـ انهم وحدهم أهل الكتاب . أما غيرهم

فهم الأميون الذين لم ينالوا بعد شرف أن تكون منهم الرسل ، وأن تنزل عليهم كتب السماء ·

وكان الأميون أنفسهم يتطلعون الى السماء راجين أن يكون منهم رسول ، وأن يكون لهم كتاب ·

وجاء محمد فأنكرته الرجعية ، وأنكرته الرأسمالية ·

أنكرته الرجعية الممثلة في الاحبار والرهبان ، وفي القساوسة والكهان ·

وانكرته الراسمالية الممثلة في اصحاب الثراء الواسع ، واصحاب النفوذ والسلطان ·

وتحالف الطرفان وتحالف رجال الدين مع الاغنياء· وعملوا سويا في سبيل القضاء على الدعوة المحمدية ·

كان الأغنياء واصحاب النفوذ والسلطان ينالونه بالكلام اللاذع والسخرية المرة فكانوا يقولون عنه تارة « **اهذا الذى بعث الله رسولا** » وأخرى « **اهذا الذى يذكر آلهتكم** » وثالثة « **أأنزل عليه الذكر من بيننا** » ·

وكان اعوانهم ينكرون عليه النبوه لفقره ويقولون « **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** » كما كانوا يجدون أنفسهم من طبقة أعلى منزلة من طبقة أعوانه ، المؤمنين به وبدعوته « **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا : أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟** »

اما أهل الكتاب فقد أخذوا فى مضايقته الى ابعد الحدود · فهم أولا ينكرون امره ، وينكرون ان يكون النبى أو الرسول المنتظر « **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به · فلعنة الله على الكافرين** » ·

وهم ثانيا يتعنتون معه ويسالونه الأسئلة التى يتخذون منها وسيلة للتشكيك فى أمره ، وفى أمر دعوته !!

« **يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى أكبر منذلك فقالوا ارنا الله جهرة** » ·

وهم ثالثا يضعون خصومه فى منزلة فوق منزلة اعوانه مطمئنيا فى الكيد له ولدعوته « **الم تر الى الذين اوتو نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا** » ·

كان هذا الكيد ، وكان هذا المكر وهذا الدهاء من العوامل الفعالة فى نفس صاحب الدعوة

« **ولقد تعلم انه يضيق صدرك بما يقولون** » « **فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك** » ·

وطلب اليه القرآن أن يصبر ويصابر « **واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا** » ·

وصبر وصابر حتى كان النصر للدعوة · وحتى ثبت واستقر أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ·

لقد كان فى نجاح الدعوة الاسلامية الدليل القاطع على أمور كثيرة ·

اولها : أن النبوة ليست احتكارا · وأنها ليست وقفا على اناس باعيانهم ـ « **ولقد بعثنا فى كل امة رسولا** » « **وان من امة الا خلا فيها نذير** »

ثانيها : أن القيمة فى الدعوة للمبادىء التى تنادى بها وللعقائد التى تدعو اليها وليست أبدا فى المعجزات التى قد تصاحبها · بل ان هذه المعجزات لا فائدة منها · « **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل واعناب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تاتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه** ·

قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » « **ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة ، وكلمهم الموتى ، وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ، ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** » ·

« **او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم** » ·

ثالثها : أن محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين ـ وتلك اهم هدف تحقق ·

لقد اصبح المجتمع البشرى فى غير حاجة الى دعوة تنزل من السماء فحسبه القرآن فى باب العبادات والمعتقدات ، وحسبه العقل البشرى فيما هو من شئون الحياة ·

لقد أصبح العقل البشرى حرا طليقا يفكر ويتدبر ويصيب ويخطىء ، ويقدر على تصحيح ما يقع فيه من أخطاء ·

ان دعوة محمد عليه السلام هى التى منحت العقل البشرى حريته وانطلاقه وطلبت اليه التفكير فى ملكوت الله ·

ان محمدا خاتم الأنبياء · وعلينا أن نجابه مشكلات الحياة دون انتظار لمعجزات السماء ·

دكتور

« **محمد احمد خلف الله** »

العروبة في الأدب العراقي الحديث

للدكتور بدوي طبانة

- ٢ -

وديوان شاعر العرب المرحوم السيد عبد المحسن الكاظمي زاخر بذلك اللون من الشعر ، ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من آثار الهيام بالعروبة ، والتغنى بأمجادها ، والحنين الى عصور ازدهارها . ومن ذلك قوله من قصيدة يتشوق فيها الى احبابه الذين تقطعت بينه وبينهم الاسباب ، ويفخر بعروبته التى عاش ومات ضحية فى سبيلها :

اقول لاحبابى وقد شفنى الاسى
صلونى فقد طال التقاطع والهجر

اراني لا استطيع كتمان لوعتى
فسرى بعد اليوم فى حبكم جهر

احبكم حتى ارى الحب قصله
وحتى يقول الناس قد ضمه القبر

اروح وبرح الصد ملء جوانحى
واغدو وكفى من وصالكم صفر

ولا عجب والطهر ليس بساترى
اذ اكدت ان ابلى كما بلى الطهر

فكم جلت فى مرهوبة صبحها دجى
وكم جبت فى ديمومة سهلها وعر

افاخر من القى بمجدى وسؤددى
وليس سواكم ايها العرب لى فخر

اذا لم يكن عمرى الى المجد سلما
فلا طاب لى عيش ولا طال لى عمر

وان لم تكن نفسي لاوطانى الفدا
فليس لنفس مثلها ابدا ذكر

وقد انتقل ذلك الحنين الى اخوة الدم ووحدة الامانى والغايات الى دعوة اصلاحية تهدف الى استعادة الامجاد ، والادوار التى لعبتها الامة العربية فى عصورها الزاهرة على مسرح الحياة . استمع الى هذه اللوعة والحسرة فى الموازنة بين ما كان وما هو كائن من شعر الكاظمى :

اكذا تصبح الخطوب وتمسي
ويزول البناء والبانونا ؟

اين بانى بغداد ؟ اين مبانى
عزها ؟ اين اهلها الصالحونا ؟

اين مامونها المؤسس فيها
دولة من غراسها الافضلونا ؟

دولة تنبت الظباء اسودا
فيسامى بها الكناس العرينا

دولة تنتهى العلوم اليها
وتباهى فيها الفنون الفنونا

ورأى الدعاة الى الاصلاح ، واكثرهم من رجال الشعر والقلم ، الا نهضة للعروبة ، ولا امل فى بعثها الا اذا اصلحت من اخلاقها ، وقضت على اسباب شتاتها وعوامل فرقتها ، وعملت بعزم على اصلاح المجتمع العربى ، والقضاء على العطب الذى اعترى معظم مناحيه ، ورأوا ان ذلك الاصلاح المنشود هو السبيل الى استعادة المجد الذاهب ، واقامة صرح القومية على اسس العمل الدائب والبناء الثابت ، لا على الفخر بالآباء والاجداد او التباهى بالحطام والاشلاء . وفى ذلك يقول الرصافى :

ارى مستقبل الايام اولى
بمطمح من يحاول ان يسودا

فما بلغ المقاصد غير ساع
يردد فى غد نظرا سديدا

فوجه وجه عزمك نحو آت
ولا تلفت الى الماضين جيدا

وهل ان كان حاضرنا شقيا
نسود بكون ماضينا سعيدا

فشر العالمين ذوو خمول
اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

وخير الناس ذو حسب قديم
اقام لنفسه حسبا جديدا

وقد كرر الرصافى فى هذا المعنى فى كثير من قصائده ، التى يذكر فيها امته بماضيها المشرق ، ويحثها على النهوض حتى تصل امسها الحافل بغدها

المؤمل ، ويعيب عليها القعود عن مجاراة ركب الحياة المجد :

لهفي على العرب امست من جمودهم
حتى الجمادات تشكو وهي في صخر

اين الجحاجح ممن ينتمون الى
ذؤابة الشرف الوضاح من مضر

راحوا وقد اعقبوا من بعدهم عقبا
ناموا عن الامر تفويضا الى القدر

اقول والبرق يسرى في مراقدهم
ياساهر البرق ايقظ راقد السمر

يايها العرب هبوا من رقادكم
فقد بدا الصبح وانجابت دجى الخطر

ثم ياخذه الأسى لوعورة المسلك وانقسام العرب على انفسهم :

كيف النجاح وانتم لا اتفاق لكم
يا اكثر الناس عدا غير منحصر

ومثل ذلك في الشعر العراقي كثير ، والذي يعنينا من هذه الاشارات ان شعراء العراق لم يخصوا بشعرهم ونفثاتهم بلدهم ولا مواطنيهم الذين يسكنون بين حدوده ، وانما ذكروا البلاد العربية جميعا ، وارادوا به بني العروبة في شتى مواطنهم

***

فاذا عدونا تلك المراحل التي امتلات بشعر العاطفة ودعوات الاصلاح ، وجدنا ثورات صريحة تغضب لكرامة العرب ، وتنقم من الذين استبدوا بها ، وتندر الحكام بالحمية العربية والغضبة المضرية على الظلم والاستبداد ، والتهديد بالقدرة على الثار للامة والنيل من مغتصبي سيادتها والمعتدين على كرامتها ، وان بني العرب اذا ثاروا لن يعترض طريقهم الجيوش الجرارة ، او اساليب العنف والجور ، وان يبخلوا بتضحية وان غلت ، لانها امة طبعت على الحرية والاباء . ومن ذلك ما قال الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي ينكر على السلطان عبد الحميد .. وهو في اوج مجده وعظمة سلطته ماينزل بالامة العربية والمجاهدين من ابنائها من ضروب العسف والاضطهاد :

ايامر ظل الله في ارضه بما
نهى الله عنه والرسول المبجل

فيفقر ذا مال وينفى مبرا
ويسجن مظلوما ويسبى ويقتل

تمهل قليلا لا تغظ امة اذا
تحرك فيها الظلم لا تتمهل

وايديك ان طالت فلا تغترر بها
فان يد الايام منهن اطول

وتلك نغمة صريحة ، يهدد الشاعر فيها لا بابناء العروبة في العراق فحسب ، بل بالامة العربية في مشارق الارض ومغاربها .

***

وبهذا وكثير من امثاله نرى ان الشعر العراقي لم يقصر في التعبير عن شخصية الامة العربية والدفاع عن آمالها في الحرية والكرامة والسيادة والدعوة الى اصلاح المجتمع العربي لكي يصل خدماته السالفة للمجتمع الانساني .

ولم ينس الشعر العراقي ان يذكر بعض العرب الذين خدعوا انفسهم ، فتناسوا القومية التي تظلهم بالاواصر الوثقى التي تصل بعضهم ببعض من وحدة اللسان والتاريخ المشترك ووحدة الاهداف وتقارب الاسباب لتحقيق تلك الاهداف ، والاتفاق الواضح في اساليب الحياة وانماط التفكير ، وانهم اسدوا الى الانسانية كثيرا مما تعتز به من حضارة واخلاق ومثل رفيعة . وفي ادراكهم كل هذا ما يشعرهم بمنزلتهم بين امم الارض ، وقدرتهم على مجاراة الامم الناهضة في ركب الحضارة ، ويدعوهم الى الوحدة التي تشد ازرهم . واصدق مثل على ذلك ما قال الرصافي مخاطبا اهل تونس ومذكرا اياهم بتلك الاواصر التي تصلهم باخوانهم من عرب المشرق والتي عمل الاجانب على فصم عراها :

اتونس ان في بغداد قوما
ترف قلوبهم لك بالوداد

ويجمعهم واياك انتساب
الى من خص نطقهم بضاد

ودين اوضحت للناس قبلا
نواصع آيه سبل الرشاد

فنحن على الحقيقة اهل قربى
وان قضت السياسة بالبعاد

وما ضر البعاد اذا تدانت
اواصر من لسان واعتقاد

أتونس ان مجدك ذو انتماء
الى عليا نزار او اياد

ولقد كان ذلك الشعر الكثير من اعظم الاسباب فى بعث الأمة العربية ، وتنبيه النيام من ابنائها الى انهم امة كبيرة تمتد حدودها ما بين المحيط والخليج ، والى انهم اعضاء فى اسرة كبيرة ترتبط مصالحها وتتحد غاياتها .

واذا كانت القومية تفاعلا بالاحداث التى يتعرض لها الاخوة فى شتى ديارهم فان ديوان الشعر العراقى فى هذا القرن يزخر بآثار ذلك التفاعل الى درجة تشعر القارىء بان تلك الاحداث لم تقع الا فى أرض العراق ، وذلك من غير شك اثر من آثار اعتناق ذلك الشعب المجيد لعقيدة العروبة والايمان بالقومية العربية الى درجة تدعو الى الاعجاب .

وفى ديوان شاعر عراقى واحد كالرصافى تجد كثيرا من امثال هذه العناوين : فى رحلة — دار الايتام فى القدس — بين تونس وبغداد — فى حفلة شوقى — الامة العربية — فى ايلياء — عرس مصر — تحية سركيس — ذكرى لبنان — فيلكس فارس — ليلة فى دمشق — الى الامة العربية — بعد براح الشام — مظاهر التعصب فى عصر المدنية — دمشق تندب حظها — اخفار الذمم او عبد العزيز شاويش — فى طرابلس — ...

فاذا عدونا هذه القصائد التى تبين موضوعاتها من عنواناتها وجدنا سواها من القصائد العراقية والقصائد الوجدانية وغيرها تنبض باحاسيس العروبة ووجدنا الشعر الاجتماعى وان كان قد قيل فى العراق تصويرا للمجتمع العراقى مرآة تنعكس على صفحتها صورة المجتمع العربى كله ، لوحدة العوامل التى اثارت شاعرية الشعراء . وما كان يشكوه العراقى فى بلده هو ما يشكوه كل عربى فى بلاد منيت بالفرقة والفقر وتدخل الأجانب فى شئونها واستغلالها لمواردها .

اما ماساة فلسطين فكانت من اهم مظاهر القومية العربية فى الادب العراقى وما من شاعر او كاتب الا تفاعلت عاطفته بالاحداث التى المت بتلك البقعة العزيزة من قلب الوطن العربى ، وانطلقت الاقلام تصور هول النكبة ، وتحذر مما يهدد الوطن العربى كله من خطر الصهاينة وعملائهم واعوانهم من المستعمرين واعداء العروبة . وبين يدى مجموعة من الشعر الجيد الذى صاغه شعراء النجف وجمعوها فى كتاب بعنوان « الفلسطينيات » . وللمرأة العربية فى العراق آثار جيدة فى هذا الغرض ، منه ما كتبت الشاعرة أم نزار فى ماساة فلسطين :

حادث فيه للعروبة ذل
بعد عز قد طاول الاحقابا

أفترضي الليوث أن يطأ الغا
ب عدو فيستبيح الغابا

لا وحق الاوطان لن يسكنوها
عنوة ان سعيهم قد خابا

ان ينالوا من أرضنا قيد شبر
أو تذوق العرب الحمام شرابا

وما كتبت الشاعرة « عاتكة الخزرجية » من قصيدة عنوانها « فلسطين هيا ثورة عربية » :

لقد جمعتنا يا فلسطين نكبة
كما تجمع الاحزان شمل يتامى

فلسطين حتام السكوت عليهم
وقد حسبونا لا نطيق كلاما

فلسطين هيا ثورة عربية
تصير ابراج الطغاة ركاما

فلسطين شنيها ضروسا لظارها
تكون جسوم الظالمين ضراما

فاما حياة تحت راية وحدة
واما تروينا الطحون زؤاما

ومن كل هذا يتضح الدور الكبير الذى نهض به الأدب العراقى — الذى اتخذنا الشعر مثالا له لسيادته على الوان الادب فى العراق — بما وفى للقومية العربية وعرض لاكثر مشكلات المجتمع العربى ، ونبه الى اسباب القوة وعوامل الضعف ودعا الى وحدة الصف العربى لحماية العروبة من اعدائها ، وتخليصها من مستعمريها ، كما أن هذا الادب تفاعل بالاحداث التى المت بهذا الوطن الكبير تفاعلا قويا ، وتجاوب مع مشاعر العروبة فى كل موطن من مواطنها .

« دكتور بدوى طبانه »

منطق الطير للعطار

للدكتور محمد غنيمي هلال

وعدنا في عدد سابق من هذه المجلة أن نعرف بهذا الكتاب من بين كتب الصوفية ، وهو من أشهرها وأقومها · وعلينا – قبل هذا التعريف – أن ننبه الى أننا يجب أن ننظر الى القيم التي يجلوها الادب الصوفي في قرائنها التاريخية حتى تتميز القيم الحاضرة بالغابرة وأن نستنتج من هذه القرائن الدلالات اللازمة للتعبير الفني ، لا الدلالات المباشرة التي لا يجوز فيها أدب من الآداب ·

ولا ننكر أن للأدب الصوفي جانبا سلبيا في حرص أهله على الهرب من هذه الدنيا ، حيث السعادة وهم من الأوهام يساور المغترين ، في سبيل الظفر بالسعادة في العالم العلوي ، سعادة خالدة ، عن طريق العبادة والتعالي بالروح · ولم تكن هذه السلبية طابع الأدب الصوفي كله ، ولا ينبغي أن يصرفنا هذا الجانب فيها عما زخر به أدبها من تعال روحي عن الاسفاف ، وعن الاسفاف المادي · ثم ان هذا التعالي قد بدا في صور الادب الصوفي وتجاربه صادقا أصيلا مشبوب الطابع مما نم عن ضيق أهله بشرور مجتمعاتهم ومفاسدها · فعلى ما في الحرص على الهرب من مواجهة صعاب الحياة في مجتمعاتهم، وعلى ما يبدو في ذلك من أثرة في نشدان السعادة الذاتية ، اشبع الادب الصوفي بنوع من السخط ذي الاثر الايجابي في تعاليه ، وبالكشف عن مساوىء اجتماعية اخذ يجلوها ، وهي نفسها التي يحمل عليها الثائرون ليقوضوها · وفي هذا المجال قد يصير طابع الناس في عاقبة الأمر سبيلا الى الامل ، والى الثورة ، والضيق بمواطن الخطل · وكثيرا مايتجاور اليأس والأمل في الفترات التي تمهد للثورات أو تقدمها ، بل كثيرا ما يقترن هذا الضدان في نفوس الثائرين المضحين يحملون أرواحهم على أكفهم في سبيل حياة أفضل ، فيبدو يأسهم من القديم في صورة نقمة جارفة يستهينون فيها بالحياة في ظل القيم البالية ، ويستخفون بالحياة أو بتحقق آمالهم في تقدم مجرى التاريخ · ووراءهم – على جادة التاريخ – عالم من مشاعل تشحذ عزائمهم ، يتمثل كثير منها في ضحايا النظم الفاسدة ، وفي التجارب الصادقة التي عبرت بها الآداب عن مآسي هؤلاء الضحايا · وأية صور أصدق في التعبير عن هذه التجارب مما عبر به كثير من ذوي القلوب الكبيرة عن مفاسد عصرهم ، وعن معاناتهم لها معاناة زجت بهم الى ما وراء حدود الطموح الى معالجتها · ومن ثم نلحظ – كما قلنا من قبل – شبها واضحا بين أدب الرومانتيكيين الثائرين وأدب الصوفية ، يتضح في هرب أولئك بآمالهم في عالم أحلامهم ، وفي استهانتهم بالحياة ، وتفردهم عن الاختلاط بالمجتمع ، وفي تنصل هؤلاء من تبعة العصر بالهرب في عالم الروحانيات الخالص والهرب والتنصل كلاهما فيه قصور وتخاذل يقف بنادون ما ننشد اليوم ، ولكن علينا الا نغمط أولئك جميعا حقهم في الدلالات الانسانية التي يدل عليها ادبهم في وضوح ، الى جانب ما نشيد به كذلك لهم من اصالة في التأويل، واصالة فنية في التصوير · ونكرر مع ذلك انهم اضفوا على الحياة روحانية تسمو بالخلق ، وكثير منهم مع ذلك كان داعية الى سلوك عملي تجاه الأحداث وتيارات الفكر ، والشعور بالطبيعة ، والاشادة بالارادة ، وترك التواكل ، مما نرجو أن تتاح لنا ضرب امثلة عليه فيما بعد ·

أما الآن فنتقدم للقارىء العربي كتاب « **منطق الطير لفريد الدين العطار** » وهو منظومة من بحر الرمل في حوالي أربعة آلاف وستمائة بيت ·

والعطار يتأثر فيه قطعا باخوان الصفا في رسائلهم العربية · وهؤلاء هم أو من نقل القصة على لسان الحيوان – أو الخرافة كما يدعوها ابن النديم – الى مجال فلسفي ذهني ذي طابع صوفي اجتماعي معا – ففتحوا بذلك مجالات فسيحة لصنوف من الخلق الفني في الأدب القديم ، ومن ثمراتها هذا الكتاب ·

ومحور القصة في هذا الكتاب تدور حول اجتماع الطير في مجلس ، كما في اخوان الصفا ، ولكن العطار يحول مجرى الحوار فيها الى مقصود آخر تظهر فيه أصالته · فالطير هنا رموز صوفية ، في معنى الرمز العام لا الرمز الايحائي المذهبي لصنوف الخلق في نشدانهم للحق ، وهذا الحق – او الذات الالهية – يرمز له العطار بطائر خرافي يقابل ما نسميه العنقاء ، ويدعى بالفارسية « سيمرغ » ، وهي كلمة فارسية مكونة من لفظين :

سی + مرغ : ومعناها : ثلاثون طائرا ، ولكنها صارت علما على هذا الطائر الفريد الذى لا نظير له • ويقود الطير فى مجمعها ، ويستقبلها ويرحب بمقدمها فى الاجتماع طائر الهدهد ، وهو رمز لهادى الطريق ، ويدعو الهدهد الطير ـ بعد أن يتم اجتماعهم ـ الى رحلة طويلة ، هى رحلة فى الحقيقة روحية ، فيتعلل كل من هذا الطير بعذر ، رمزا الى علائق المادة المعوقة للروح ، ويجيب الهدهد كلا منها مفندا عذره • ويجمعون أمرهم بعد ذلك للرحلة نشدانا للمثول أمام السيمرغ ، فيقطعون الأودية السبعة فى مسيرهم ، وهى رموز لمراحل السلوك الروحى ، وهى وادى الطلب فالعشق ، فالمعرفة ، فالاستغناء ، فالتوحيد ، فالحيرة ، ثم الفناء فى ذات الله •

وتتساقط آلاف الآلاف من هؤلاء فى الطريق ، فلا يصل الى تلك الحضرة سوى ثلاثين طائرا ، أو سيمرغ لان سی مرغ معناها ثلاثون طائرا بالفارسية كما قلنا من قبل • وحين الوصول يرون فى مرآة المثول أنفسهم على حقيقتها ، أى ثلاثين طائرا أو « سيمرغ » ، وقد بدءوا رحلتهم رجاء الظفر بالسيمرغ (وهو رمز الله ، ومعنى اللفظة نفسها : ثلاثون طائرا) ـ وبذلك يرون الله فى ذات أنفسهم ، أى أنهم رحلوا روحيا حتى عرفوا نفسهم على حقيقتها فعرفوا ربهم ، وفنوا فيه وجدا به • هذا هو جوهر هذه الحكاية الرمزية الصوفية ، تتخللها حكايات عارضة فى كل مرحلة منها تشد أزر المعنى العام ، وتؤكد القيم الروحية الصوفية ، القائمة على الفلسفة العاطفية ، وعلى النظر الى الجمال ـ جمال الروح والكون ـ على أنه السبيل للوصول الى الجمال الامثل ، وان الحب الانسانى يجب أن يكون قنطرة للحب الاكبر ، حب واجب الوجود • وعند الصوفية أن الحب قسمان : حب صورى ، يتبدى فى التعلق بالصور ، انسانية أم كونية ، وحب حقيقى ، وهو النفوذ من جمال هذه الصور الى دلالاتها العاطفية الروحية • ومرجع ذلك أن الجمال عندهم قسمان جمال حقيقى ، وهو صفة ازلية لله تعالى ، وقد شاهده الله فى ذاته مشاهدة علمية ، فاراد أن يراه فى صنعه مشاهدة عينية ، فخلق العالم مرآة شاهد فيها جماله عيانا • وهذا العالم هو الجمال الصورى عند الصوفية ، فالعالم كله تعبير عن الحسن المطلق الالهى • وعلى المحب أن يبادر بتجاوز الحب الصورى فى تامله للجمال الصورى الى الحب الخالد بفنائه وجدا بالجمال الخالد • وهذا هو معنى هذه الحكاية التى يسوقها العطار فى « منطق الطير » :

ـ ١ ـ

العشق الصورى

مثل امام الشبلى مفئود ينتحب
فسأله الشيخ مم تبكى ؟
فاجابه : أيها الشيخ : كان لى حبيب
من جماله كانت نضرة روحى
ثم قضى نحبه ومأنذا أقضى هما

وقد اضحى العالم لدى حالك الجلباب حدادا عليه
فاجابه الشيخ : وهل فقد قلبك بهذا الرزء زمامه ؟

حقا لا يجدر بك سوى هذا جزاء !!
الا فاختر لك منه حبيبا آخر
لا يعروه فناء ، ولن تقضى أنت انتحابا به
فالحبيب الذى يجلب بالموت النقصان
لا تجلب صداقته للروح سوى الاحزان
وكل من يبتلى بعشق الصورة
يقع من هذه الصورة فى مئات صنوف البلاء

ـ ٢ ـ

الفانى هياما بالله

قال لقمان السرخسى : يا الهى
قد هرمت ، وحرت وجدا ، وتاه بى الطريق
والعهد بالعبد حين يهرم أن يسترضى
وأن تخلى سبيله ويتحرر
وأنا الآن فى عبوديتى لك ، أيها المليك
قد صار شعرى الأسود ثلجا
وكم عانيت من الهم عبدا ، فهبنى السرور
وكبرت سنى ، فهب لى ان أتحرر
فصاح به هاتف : يامن أنت من خلص الخواص
كل من يرم التحرر من العبودية
يصبح ممحو الوعى والتكليف

فاترك هذين ، وضع قدمك فى الجادة
فقال : اى الهى ، اهيم بك على الدوام
فأى جدوى للعقل والتكليف . هذا حسبى
ثم خرج به الوجد عن حد العقل والتكليف
راقصا به يضرب يدا بيد
قائلا : الآن لا أدرى من أنا
لم أعد عبدا بعد ، فمن أنا
امحت العبودية ، ولكن لم أبق حرا
لم يبق فى القلب مجال لذرة من غم أو سرور
لست أدرى أنا أنت أم أنت أنا
قد امحيت فيك ، وضاعت الثنائية .

— ٣ —

الطيور فى المثول

وتجلت أمام الطير شمس القربى ، فولت وجهها باشراقة تلك الشمس ومن انعكاس وجه الطير الثلاثين (السيمرغ) رأوا وجه « سيمرغ » العالم فاذا ألقت نظرة عجلى هذه الثلاثون رأت ذلك « السيمرغ » عن يقين فدارت جميعا رؤوسها حيرة ، وأضحت من جديد حيرى على منحى جديد اذ رأت أنفسها هى « السيمرغ » تماما ، اذ هو دوما ذات أنفسها فاذا توجهت اليه كان هو نفسه المثول

صار هذا ذاك وذاك هذا ، أمر لم يسمع بمثله

فبقيت أسرى الحيرة ، بدون تفكير ، اذ عجزت عن التفكير ، واذ قصر بها العلم عن معرفة جلية الامر ، سألت — بلا لسان — سؤالا طلبت كشف هذا السر المتين ، ونشدت حل « الأنا ، والأنت »

وبلا لسان أتاهم من الحضرة خطاب : انها تراه كالشمس كل من قدم اليها رأى فيها ذات نفسه ، جسما وروحا

فمحوا ذات أنفسهم . قد فنى الظل فى الشمس . هذا كل ما كان

كانوا يرددون ما ساروا — هذه الكلمات ، وحين وصلوا لم يبق منهم رأس ولا جسد فلا بدع أن أقصروا عن الكلام . لم يبق سالك للطريق ولا منشد . لقد بلغ الطريق المدى

دكتور محمد غنيمى هلال

سياسة الدعوة فى الاسلام

بقلم منصور رجب

لعل من المسائل التى عنى الاسلام بها اشد عناية وبينها اقوى بيان مسألة سياسة الدعوة فى الاسلام فقد وضع لها من الاصول والمبادىء . وحدد لها من الرسوم والشواهد ماليس وراءها مطلع لناظر ولا زيادة لمستزيد . فقال تبارك وتعالى - فى سورة النحل آية ١٢٥ - : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » وقال لنبيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى سورة آل عمران آية ١٥٩ - : « ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » . وقال لنبيه موسى عليه السلام حينما ارسله الى فرعون - سورة طه آية ٤٤ - : فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » . وقال صلى الله عليه وسلم : « انما انا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم » .. وقال صلوات الله عليه للطفيل بن عمرو الدوسى حينما قال له : يارسول الله انه قد غلبنى على قومى الربا فادع الله عليهم فقال له صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهدهم . ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم » .. بل لما جرح صلوات الله عليه فى غزوة أحد وأخذوا ينشفون الدم من على وجهه الشريف كان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت العصيب : « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ... وهكذا ، لا ترى لسياسة منهاجا بينا واضحا كما ترى لسياسة الدعوة فى الاسلام .

والشواهد فى هذا الباب - باب سياسة الدعوة فى الاسلام - اكثر من أن تحصى وأكبر من ان تزكى ولكنى على سبيل المثال لا على سبيل الحصر اتيت ببعض الشواهد والادله .

ويرجع انتشار الاسلام فى تلك الرقعة الفسيحة من الارض بما يشبه المعجزة الى اسباب شتى من اهمها التزام دعاة المسلمين بما خطه الاسلام للدعوة من سياسة : هذه السياسة التى تتجلى بعض مظاهرها فى حفظ كرامة المخاطب . والعمل على الوصول الى الحقيقة عن طريق الاقناع والتفاهم بدلا من الفلظة والعنف واحتقار راى المعارض .

ان دستور الدعاة الى الله انما هو القرآن الكريم وسنة رسوله العظيم . والقرآن الكريم كتاب اقناع بالحجة والدليل والبرهان لا بالفلظة والعنف والبهتان .. ولأجل ان يعطى الله تبارك وتعالى لعباده الحرية الكاملة فى التفكير والتدبر وينفى عن رسوله تهمة العنف لفرض دينه على الناس فرضا امره جل وعلا فى القرآن الكريم - سورة يوسف آية ١٠٧ - ان يقول : « قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى » .. فالدعوة الى الله تبارك ببصائر الايمان والايقان وتقديم الدليل والبرهان . سبيل رسول اللى صلى الله عليه وسلم وسبيل أتباعه رضوان الله عليهم اجمعين : اما العنف فى النقاش والجدال . واتهام الناس بما لم يقولوا او يقصدوا بالزور والبهتان فذلك سبيل الفتان . وهو - بداهة - بعيد كل البعد عن ادب الاسلام وقريب غاية القرب من ادب الشيطان ان صح ان يقال ان للشيطان الرجيم أدبا .

ولقد منيت الأمة الاسلامية - ولعلها فى ذلك اكثر من غيرها من امم الارض - بقوم انحرفوا عن ادب الاسلام فى الجدال واتبعوا سبيل الشيطان جريا وراء تجارة رابحة او شهرة كاذبة . ونسوا ان الداعى الى الله تبارك وتعالى او الساعى الى اظهار الحق فى شىء يشتبه على الناس : هذا الداعى أو هذا الساعى لابد له من ان ينزه الفاظه ويطهر عباراته من فحش القول والادعاء بالكذب وتقويل الناس ما لم يقولوا .. ولم تنكبنا النكبات وتصبنا الدواهى الا من يوم ان تصدى لتجلية الحقيقة قوم سلبهم الله نعمة الجلالة والبهاء فكذبوا فيما قالوا ورموا عباد الله بالباطل : وهل أكذب على الله من انسان يرمى غيره بالمروق لشيىء هو نفسه يلغ فيه ؟ ... وهل أكذب على الله من شبح يدعى على غيره كذبا وزورا وبهتانا انه تحدث يوما مع الحجيج فى مكة بشيىء لا وجود له أصلا الا فى وهم أخينا الكاتب الكاذب وفى مجلة سياره ؟ ...

يقولون : ان المصاب من حرم الثواب .. فهل للكاذب ثواب ؟ ... وهل لمن ينكر شيئا هو غارق فيه الى ذقنه ثواب ؟ ... انهم فى سبيل تعارض

الرأى أن تقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل .. ولا أفهم أبدا ان تخرج عن ادب الاسلام الى قول بذيء وغمز مريب .

القرآن الكريم يقول للنبى صلى الله عليه عندما حاجه قومه فى ربه أن يطلب منهم البرهان على دعواهم فقال – فى سورة النمل آية ٦٤ – : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

الاسلام دين العقل . ومهمة الداعى الى الله تبارك وتعالى أن يوجه العقول الى تدبر ما أوحى الى نبيه من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على ان يقوم بتطبيق ما يدعو اليه هو على نفسه اولا والا كان نكبة الدعوة والدعاة . وسمى القرآن الكريم فعل هؤلاء من أكبر المقت . فقال تبارك وتعالى – فى سورة الصف آية ٢ و ٣ – : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟ ... كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون »

ان القرآن الكريم لم يكلف الناس بأن يؤمنوا باله واحد قادر على ضرهم ونفعهم من غير دليل بل طلب منهم ان يفهموا الدليل بعقولهم فيما فوق رءوسهم وتحت ارجلهم . وحولهم من الاشياء والناس . فقال تبارك وتعالى – فى سورة الرعد آية ٢ ، ٣ ، ٤ – : « الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون .. وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »

وقال – فى سورة الملك آية ٣٠ – : « قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ؟ ... »

ويوجههم ايضا الى الدليل فيقول – فى السورة نفسها آية ١٩ – : « او لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير

الى آخر ما فى القرآن الكريم من آيات بينات تثبت انه كتاب اقناع بالدليل والحجه والبرهان .

كان القرآن الكريم يستطيع ان يقول لأولئكم الذين قالوا – سورة الجاثية آية ٢٤ – : « ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر » كان القرآن الكريم يستطيع ان يرد على منكرى البعث هؤلاء، وعلى القائلين بانه ما يهلكهم الا الزمان كان يستطيع أن يدلهم على ما يريد بما يشاء من عنف ولكنه سلك معهم سياسة الدليل والحجة والبرهان فيقول مثلا – فى سورة مريم آية ٦٧ – : « أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » ؟ ... ويقول – فى سورة يس آية ٧٩ – « قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم » ثم أخذ يسوق لهم الادلة فقال – فى السورة نفسها آية ٨٠، ٨١ – : « الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون .. اوليس الذى خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ ... بلى وهو الخلاق العليم » : اما من ناحية الراى والخطأ فيه فادبها فى الاسلام أشهر من ان يذكر .

ولعل من حضرات القراء الكرام من قرأ ما يروى عن النبى صلى الله عليه من انه اجتهد فصحح الوحى له اجتهاده : من ذلك ما يروى من انه لما مات عبد الله بن أبى راس المنافقين ذهب ابنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فطلب منه ان يعطيه صلوات الله عليه قميصه ليكفن فيه والده . وطلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يتقدم فيصلى عليه فأعطاه النبى صلوات عليه قميصه فكفن فيه والده بالفعل وتقدم ليصلى عليه فاعترضه عمر رضى الله عنه قائلا للنبى صلى الله عليه وسلم : او لم ينهك الله تبارك وتعالى عن هذا ؟ ... فقال صلى الله عليه وسلم : انه قد خيرنى فنزل قول الله تبارك وتعالى – فى سورة التوبه آية ٨٤ – : « ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » : ولما سئل صلوات الله عليه عن مسالة القميص هذه وكيف يقدمه كفنا لذلك الفاسق ؟ ... فقال : كنت ارجو أن يسلم به الف من قومه .. هذه واحدة من جانب أمام الدعاة سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

ولعل من حضرات القراء الكرام أيضا من قرأ تلك القصة التى جرت بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقدامة بن مظعون : ذلك ان عمر استعمل قدامة هذا على البحرين . فقدم الجارود على عمر فقال : ان قدامة شرب فسكر .. فقال عمر : من يشهد معك على ماتقول ؟ ... قال الجارود : ابوهريره يشهد على ما اقول وذكر الحديث . فقال عمر : ياقدامة : انى جالدك . قال قدامة : ولم تجلدنى ؟.. بينى وبينك كتاب الله . فقال عمر : واى كتاب الله تجد الا اجلدك ؟ ..

قال : ان الله تبارك وتعالى يقول – سورة المائدة آية ٩٣ – : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين » .. فانا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ، واحدا ، والخندق ، والمشاهد : فما كان من عمر رضى الله عنه الا أن توقف امام هذه الحجة قائلا لمن عنده من الصحابة رضوان الله عليهم : الا تردون عليه قوله ؟ ... فقال ابن عباس رضى الله عنهما : ان هذه الآية نزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين . فعذر الماضين بأنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر . وحجة على الباقين لأن الله تبارك وتعالى يقول – سورة المائدة آية ٩٠ – : يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » فان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات . ثم اتقوا وآمنوا . ثم اتقوا واحسنوا فان الله قد نهى ان يشرب الخمر . فقال عمر : صدقت .

كان لعمر رضى الله عنه ان يقيم على قدامة الحد بشهادة الجارود وابى هريره ولكنه توقف حين بدت له شبهه حتى استيقن من خطأ قدامة بن مظعون فى تأويل آية من كتاب الله . وكان عمر يستطيع أن يغلظ القول لذلك الصحابى الجليل الذى اخطأ فى التأويل . ولكنه لم يفعل متأدبا بأدب الاسلام الذى يحارب العنف فى القول ويعادى الغلظة فى الجدل

ان الاسلام قد سلك فى دعوته طريقا واضحة بينة مفهومة رسمها القرآن الكريم وشرحتها السنة والتزم بها قادة الاسلام الصالحون فى الدعوة . ولكنا كما قلت سابقا – منينا او بلينا بقوم احترفوا الزود عن مبادىء الاسلام وشريعته تجارة . وهؤلاء اخطر على الاسلام ومبادئه من اى خطر داهم آخر :

اولا : هم بعنفهم وبذاءة السنتهم واتهامهم الناس بالباطل يخلقون العداوة بين الناس ويباعدون بينهم وبين الأخوة : روح الاسلام النابض .

ثانيا : هم انفسهم بوقوعهم عمليا فيما يحاربونه بالسنتهم كلاما يبلبلون عقيدة الناس فى الدعوة والدعاة « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ولقد جنينا هذا الاثر السيىء وسنجنيه مادام هؤلاء بعيدين عن ادب الاسلام عملا .

ثالثا : قد يصيب العنف بعض الناس ماديا واديبا فلغة الاهانة قاسية حتى على العجماوات .

والذى اريد ان اخلص اليه من وراء كل هذا ان نتأدب بأدب الاسلام حين ندعوا الى الله بتقرير مبدأ او نقد راى او دفاع عن حجه . اما ان نجرى وراء شهواتنا وعوانا وحقدنا وحسدنا ونجرح عباد الله الآمنين الأبرياء . فهذا فسق والفاسق عدو الاسلام . ان اول شرط يجب أن يتوافر فى الداعى والناقد هو الا يفقد اعصابه اما أولئكم الذين يفقدون أعصابهم فلا يصلحون أبدا لأن يحملوا راية الدعوة الى الله « والله هو الحق المبين » . ولا يصلحون ابدا لأن يعتلوا المنابر العامه حتى لا يتأثر بهم ضعاف العقول الا اذا تابوا وأنابوا . واذا فاتتك التقوى فى الاستقامه فلا تفوتك فى التوبة والانابه .

واخيرا وليس آخرا فانى اقول مع ذلك الذى سمعه أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول من داخل مغارته وهو فى راس جبل يأنس بالوحش فرارا من الانسان :

« اللهم ان قوما سألوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك .. اللهم وانى أسالك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك » وانى الجأ اليك يارب من هؤلاء الذين فقدوا ادب الاسلام والسلام .

«المنصور رجب»

السلام ومناهضة الحروب

في التفكير العربي الإسلامي

بقلم : محمد عبد الغني حسن

لو أن سؤالا ألقى علينا عن موضوع السلام ومناهضة الحروب فى الانتاج العربى الاسلامى فاننا لا نعدم الجواب عن هذا السؤال فى اعتزاز بمشاركة الادب العربى فى قضية الدعوة الى السلام وتثبيت أركانه وتوطيد دعائمه ، والتنفير من الحرب على الرغم من كونها ضرورة قد تدعو اليها الظروف فى بعض الاحيان ٠

واذا ارتددنا الى ما قبل قيام الدعوة الاسلامية باكثر من قرن رأينا أول صيحة ارتفعت فى سبيل مناهضة الحروب من فم الشاعر العربى زهير بن أبى سلمى الذى شهد بعينيه حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، ورأى كثيرا من مآسيها وما جرته على الحيين المتحاربين من آلام ، فاشتملت معلقته الميمية المشهورة على أبيات يصور فيها الحرب صورة حية بشعة مشتقة من التجربة العملية لا من الخيال المتصيد والحق ان المعلقة كلها نظمت مدحا لسيدين من سادات العرب هما هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذان احتملا ديات القتلى ، حقنا للدماء ، الا أن الابيات الخاصة بتصوير بشاعة الحرب ونتاجها وضراوتها وتكثير الشرور منها تعد دعوة عربية صادقة لمناهضة الحرب والدعوة الى السلام والعيش فى وئام ٠ ولايتسع المجال هنا لذكر الابيات كلها ولكنا نجتزء بذكر البيتين الاولين وهما :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتمو
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر اذا ضريتموها فتضرم

واذا كان القرآن الكريم قد جاء بآيات كثيرة فى « الجهاد » وفيه كثير من المعنى الحربى ، فان ذلك لم يكن عدوانا ولا بغيا ولا مباداة بالحرب ، وانما كان فى سبيل الدفاع عن الدين والنصرة له ، مما لايتنافى مع فكرة « السلام » فى الاسلام ٠ وقد حرص كثير من كتاب المسلمين ومفكريهم على توضيح هذا المعنى وتقريره ، دفعا لما قد يتوهم من ضده ٠ وكثيرا ماتأتى قضية « السلام » فى الاسلام مجاورة لقضية الجهاد وحقوق الحرب فى الاسلام ٠ وممن سبق الى هذا المعنى من كتاب العرب المحدثين الاستاذ الباحث محمد عزة دروزة فى كتابه « **الدستور القرآنى فى شئون الحياة** » ، ففى الفصل الرابع الذى عقده عن النظام الجهادى فى الاسلام يقرر ان آيات الجهاد قد شغلت حيزا يكاد يبلغ نصف المدنى من القرآن ، واوضح ضرورة ذلك حينما تكون الدولة الاسلامية والكيان الاسلامى والدعوة الاسلامية عرضة للتهجم والتهضم والبغى ٠

وللمرحوم الشاعر الاديب الطبيب الدكتور أحمد زكى أبو شادى كتاب صغير جليل عنوانه « **لماذا أنا مسلم ؟** » وفيه فصل عنوانه : الاسلام هو السلام ، ويقرر أبو شادى بناء على حديث : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، ان الاسلام هو السلوك السلمى ، ويتصل بهذا السلوك السلمى العمل على استتباب الامن وعلى التآلف السلمى بين الشعوب ٠ وفى سبيل هذا السلام العام يبيح الاسلام الكفاح ٠ وفى سبيل منع العدوان يأمر الاسلام بالجهاد ٠٠

ويخلص الدكتور أبو شادى الى هذه النتيجة : وهى أن الاسلام كان سابقا بزهاء أربعة عشر قرنا لمبادىء « الامم المتحدة » ولجهودها فى تحقيق السلام ٠

وقد ألقى المرحوم عباس محمود العقاد دلوه فى الدلاء وهو يتكلم عن حقوق الحرب فى كتابه « **حقائق الاسلام واباطيل خصومه** » ، فأشار الى توماس كارليل والى انصافه فى دفع اتهام النبى عليه السلام بأنه نشر دعوته بالسيف ، واكد أن النبى محمدا لم يفاتح أحدا بالعداء فى دولتى الروم والفرس ولم تقع الحرب بعد هذا البلاغ الا بعد تحريض الفرس والروم القبائل العربية فى العراق والشام على غزو الحجاز واعدادهم العدة لقتال المسلمين ٠ ولم يحارب المسلمون قبائل الجزيرة العربية فى قريش وفى غير قريش الا حرب دفاع أو حرب مبادرة لاتقاء الهجوم كما أحصاها المؤرخ العصرى احمد زكى « باشا » رحمه الله ٠

ويرى العقاد أن حق السيف كما استخدمه الاسلام فى أشد الاوقات حاجة اليه هو حق مرادف لحق الحياة ٠

ولم يفت عالما باحثا كالمرحوم الدكتور محمد يوسف موسى أن يكتب عن « السلام العالمى » فى كتابه « **الاسلام وحاجة الانسانية اليه** » ، فهو يرى أن الاسلام لا يعادى غير المسلم لانه مخالف له فى عقيدته بل أوجب الاسلام رعاية المحتاجين من غير المسلمين بتيسير الحياة لهم ، واعانة العاجزين منهم على العمل كما فعل عمر بن الخطاب من رفع الجزية عن كل ذمى لايقدر على أدائها ، وكما فعل مع اليهودى الضرير

الذى جاء يتسول على الابواب فأمر خازن بيت المال بانصافه لفقد بصره مع كبر سنه · ويرى المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى أن السلام لم تتزعزع اركانه بين دول العالم اليوم ألا بما سيطر عليه من نقض الدول الكبرى للعهود والمواثيق ، على الضد من مبادىء الاسلام الذى يدعو الى احترامها والوفاء بها ، حتى ولو كان غير المسلمين فى حالة عداء أو حرب مع المسلمين ، وحتى لو كان نقض العهد فى مصلحة المسلمين فى بادىء الرأى ، وبهذا جعل الاسلام الوفاء بالعهود هو الاساس الاول الذى تقوم عليه العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم ·

وعلى ذكر العلاقات الدولية والقانون الدولى الذى ينظمها بين دول العالم المضطرب اليوم نرى فرضا علينا فى هذا المقام الاشارة الى كتاب جليل يعد أسبق مما كتبه الاوربيون فى موضوع القانون الدولى ، وهو كتاب « **شرح السير الكبير** » للامام محمد بن الحسن الشيبانى ، الذى أملاه محمد بن أحمد السرخسى من علماء المسلمين فى القرن الخامس الهجرى · وقدأملى شرحه هذا وهو سجين فى سجن مدينة اوزكند لانه أفتى برأى صريح ضد الخاقان فى قضية زواجه بعتيقته ·· وتعتبر آراء الامام الشيبانى فى القانون الدولى الاسلامى سابقة لآراء الغربيين فيه من أمثال جروسيوس الهولندى من رجال القرن السابع عشر الميلادى ، وفيتوريا ، وسواريز وغيرهم · وقد اهتم بهذا الكتاب معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية فتولى نشره واصداره منذ بضع سنوات ·

وفى كتاب عنوانه « **الجهاد فى الاسلام** » نرى مؤلفه الاستاذ محمد شديد يعقد فصلا عن السلام أصلا من أصول الاسلام ، فيقرر أن الاسلام مع عنايته البالغة بقوة المسلمين افرادا وأمة ، ومع أمره ببذل أقصى ما فى الطاقة للاستعداد للقتال ، فانه لايعتبر الحرب هى الاصل فى الحياة ، وانما يعتبرها ضرورة لدفع العدوان والظلم ، ويعتبر السلام هو الاصل والهدف الذى يعمل لتحقيقه ·

ولم يفت « **الميثاق** » وهو يضع الخطوط الكبرى لروح القانون العربى الحديث أن يشير الى « السلام » وأن يشيد به ، وأن يقرر « ان شعبنا الذى شارك فى الجهود الانسانية العظيمة المكرسة لتحريم التجارب الذرية ، وشارك ايجابيا فى العمل من أجل نزع السلاح ، انما كان يصدر عن ايمان مطلق بالسلام ، لانه يؤمن ايمانا مطلقا بالحياة » ·

على أن السلام فى « الميثاق » هو السلام الذى يحفظ حق الحياة ، ويصد عدوان المعتدى على أى حق من هذه الحقوق ، فهو ليس استسلاما ، ولا اذعانا ، ولكنه مقاومة للطغيان والعدوان · وقد جاءت هذه العبارة مؤكدة لهذا المعنى : « ان شعبنا يمد يده لجميع الشعوب والامم العاملة من أجل السلام العالمى والرخاء الانسانى · ولقد رفع شعبنا ــ حتى فى أحلك ظروف المعارك القاسية التى أرغم على خوضها شعاره الخالد : السلام لا الاستسلام ، ايماءة واضحة الى أنه يقبل التعاون الدولى ، ولكنه يقاوم السيطرة » ·

وحينما أصدر الاستاذ المستشار عبدالحليم الجندى من أيام كتابه : « **توحيد الامة العربية** » لم يغفل أن يتحدث عن السلام الايجابى سياسة دائمة للدولة · وهو يؤكد ان السلام عندنا ليس الاستسلام ، فالسلم عندنا ايجابى ، فيه حياة وحركة ومبادرة ، فنحن نستعد بالقوة ، ونتسلح باليقظة ·· ويقرر ان الحرب فى التشريع الاسلامى دفاعية مشروطة باعتداء العدو ، فاذا اعتدى كان رد الاعتداء بمثله لقوله تعالى : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) · فالاصل هو السلم حتى يقع اعتداء · ويلتقى المؤلف مع المرحوم العقاد فى أن النبى عليه السلام لم يتجه لحرب الروم والفرس الا بعد أن قتلوا رسله ، وتأهب كسرى لقتل النبى ·· ويعرض الاستاذ الجندى صورا موجزة مشرقة لسماحة المسلمين وانسانيتهم فى حروبهم مع خصومهم ، كما حدث فى المغازى الاولى وفى حروب صلاح الدين ضد الصليبيين ·

ولقد عالجت حفنة من الكتب العربية الحديثة موضوع السلام فى الاسلام ، ومنها « **الاسلام والامن الدولى** » لمحمد عبد الله السمان ، و « **السلام والحرب فى الاسلام** » لمحمد فرج ، و « **السلام والاسلام** » لمحمود محمد صدقى و « **السلام العالمى والاسلام** » لسيد قطب · كما عالجت بعض المؤلفات العربية موضوع السلام عامة ، مثل كتاب « **حقيقة السلام** » ليحيى أبو بكر وزميله ، و « **باندونج والسلام العالمى** » لعبد الرحمن الشرقاوى ، و « **الذرة فى خدمة السلام** » للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، و « **قوة الطوارىء الدولية ودورها فى قضية السلام** » لمصطفى مؤمن ·

على أن هناك أثرين أدبيين رائعين ، هما : « **ابعد من موسكو ومن واشنطون** » للاديب العربى اللبنانى المفكر ميخائيل نعيمة ، و « **أشواك السلام** » وهو مسرحية فائقة لتوفيق الحكيم ، تعالج فكرة السلام وما يقوم فى سبيلها من أشواك ·

« **محمد عبد الغنى حسن** »

المرأة العربية

من رفاعة الطهطاوى إلى على مبارك

بقلم
محمود الشرقاوى

عرفنا من اخبار الصحف ان الحكومة السعودية اختارت « **فائزة ابراهيم الدباغ** » مفتشة على مدارس البنات باحدى مناطق التعليم ، وهى فتاة سعودية مثقفة حصلت فى علم النفس على الليسانس من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وعلى دبلوم فى التربية ، ومتخصصة فى علم النفس بالدراسات الفنية والاجتماعية . وقد تكون غيرها ايضا تعمل .

وقرانا ان حكومة السودان وظفت فتيات ايضا .

وقبل سنتين مثلت فى الكويت مسرحية «**صقر قريش**» لمحمود تيمور ووقفت فيها على خشبة المسرح فتاة كويتية مسلمة . وفى هذه السنة تقدم – فى الكويت ايضا – عضو فى مجلس الامة الكويتى ، الى المجلس بمشروع قانون يعطى المراة الكويتية حق التصويت فى انتخابات اعضاء المجلس . لم يوافق المجلس ولكن مجرد الطلب له فى ذاته دلالة ، وتصويت بعض الاعضاء لمشروع القانون له اكثر من دلالة .

اما فى جمهوريتنا العربية فنحن نعرف الخطوات الواسعة الجريئة التى تقدمت بها المراة العربية نحو اهدافها من الحرية والنشاط والاقتحام .

وعندما نشهد هذه النهضة الوثابة من المراة العربية فى تاريخنا الحديث يبدو غريبا لاعيننا وافهامنا انها وليدة سنوات قليلة ، فقبل ثلاثين سنة أو نحو ذلك كانت المراة العربية ما تزال بعيدة بعدا شاسعا عن اهداف هذه النهضة ، وكانت الفتاة العربية تجد من يصدها عن التعليم ويحول بينها وبين دخول الجامعة . وفى مصر – اسبق البلاد العربية الى تعليم المراة – لم تنشأ مدرسة ثانوية للبنات الا فى سنة ١٩٢٥ .

وفى القرن الماضى كانت المراة العربية معزولة عزلا تاما عن الحياة بعيدة كل البعد عن التعليم – الا فى داخل بيوت بعض الكبراء يتعلمن شيئا من القرآن واللغة – وكانت أبعد ما تكون من ذلك بالنسبة للحقوق الاخرى . كان مضروبا عليها حجاب الوجه وحجاب العقل حتى نجد سلامة موسى فى ترجمته حياته يذكر نساء عرفهن كن يطبخن « الخنافس » ويأكلنها طلبا للسمنة !..

وما زلت أذكر من ذكرياتى الصحفية ان مؤتمرا للمراة الشرقية عقد فى طهران سنة ١٩٣٢ وشهدته السيدة ثروت احمد مندوبة العراق ، فلما قدمت مصر بعده حدثتنا فى «البلاغ» عن المراة فى العراق فقالت انها قبل اقل من عشرين سنة – اى فى اوائل القرن العشرين – كانت قبائل العراق تتصالح فى خصوماتها على دفع مقادير من الاموال والمواشى والعبيد والنساء ... !

ونجد فى كتاب قاسم امين « **المراة الجديدة** » هذه السطور :

النساء فى الوجه القبلى عامة كن محرومات من حقوقهن فى التركات **التى يرثن فيها بمقتضى الشرع**، وبقيت هذه الحال الى دخول نظام المحاكم الاهلية فى الصعيد ، حتى ان بعض المديرين الذين اخذ رايهم فى تشكيل المحاكم فى الوجه القبلى كانوا يعدون من موانع تشكيلها انها سيكون من احكامها ان بعض النساء تعطى حقوقهن فى التركات وان هذا تغيير كبير فى العادات المتبعة فى تلك البلاد...!

ولعل الامام الشيخ محمد عبده ذكر ايضا فى تقريره المشهور عن اصلاح المحاكم الشرعية ومن الملاحظ ، وان لم يكن غريبا ، ان الرواد الذين حملوا لواء الدعوة لتعليم المراة ونهضتها كانوا من الرجال لا من النساء . ذلك لان المراة العربية كانت يوم ذاك فى وضع ثقافى واجتماعى لاتستطيع معه أن تطلب شيئا ولا ان تفكر فى شىء ، حتى فى وضعها هذا .

صحيح انه قد ظهرت فى القرن الماضى بعض كاتبات وشاعرات مثل وردة اليازجى وزينب فواز وعائشة التيمورية وغيرهن ، ولكن واحدة منهن لم تكن داعية لنهضة المراة ، وان كانت كل واحدة منهن قامت دليلا على استعداد المراة للنهضة واستعدادها للتعلم والتفوق . وحجة على صدق تلك الدعوة التى قام يدعو لها الرجال فسبقوا بها النساء العربيات .

ثلاثة رجال بدات على ايديهم الدعوة لتعليم المراة وتثقيفها ، هم : رفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وقاسم أمين .

وهـؤلاء الثـلاثة كانوا أول من دعـا دعوة صريحة مفصلة لتعليم المراة ، واقاموا دعوتهم هذه على حجج من الدين والمصلحة .

رفاعة الطهطاوى :

اول الدعوات الى تعليم المراة فى العصر الحديث كانت دعوة رفاعة الطهطاوى . وهو فى ذلك يقول:

ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معا لحسن معاشرة الازواج .

فهو يرى ان تعليم البنت يعينها على معـاشرة الزوج معاشرة حسنة ، ويجعلها قادرة على الارتفاع لمستواه او الى قريب من مستواه فى التفكير ، وانهن بعد تعليمهن :

يصلحن لمشاركة الرجال فى الكلام والراى .

وتكون هذه المشاركة وهذا التقارب فى التفكير سببا فى ان تعظم منزلة المراة فى نظر زوجها :

لزوال مافيهن من سخافة العقل والطيش ، مما ينتج من معاشرة المراة الجاهلة لامراة مثلها .

ورفاعة الطهطاوى يدلل على صدق دعوته هذه بادلة واضحة من الدين والمنطق « من الدين بذكر المنكرين بزوجات النبى ، عليه السلام ، اللواتى كن يقران ويكتبن ، مثل حفصة بنت عمر وعائشة بنت ابى بكر وغيرهما من العالمات المحدثات الفقيهات على مدى التاريخ الاسلامى . ومن المنطق يذكر ادلة كثيرة ، بعضها حجته السابقة فى ان الـزوجة المتعلمة اقرب الى نفس زوجها واكرم عنده مقاما. وبعضها فى رد حجة من يقول بمنع تعليم المراة لان من طبعها الدهاء والمكر والمداهنة ، وانه ربما حملها ذلك التعليم على ان تراسل غير اهلها وزوجها. وهو يرد هذه الحجة بان النساء لسن جميعا على هذا الخلق ، وان هذه دعوى لا تفيد ان جميع النساء على هذه الصفة الذميمة :

... ولم يعهد ان عددا كثيرا من النساء ابتذلن بسبب آدابهن ومعارفهن .

ثم يذكر ان كثيرا من الرجال :

اضلهم التوغل فى المعارف وترتب على علومهم ما لا يحصى من شبه الخروج والاعتزال .

ومع ذلك فالضلال الذى وقع فيه كثير من الرجال بسبب تعليمهم لا يقوم حجة لمنع تعليم الصبيان . وهكذا الحال بالنسبة للبنات . ثم يضرب مثلا فيقول :

لو فرضنا ان انسانا اخذ بنتا صغيرة السن مميزة وعلمها القراءة والكتابة والحساب وبعض ما يليق بالبنات ان يتعلمنه من الصنائع كالخياطة والتطريز الى ان تبلغ خمس عشرة سنة ثم زوجها لانسان حسن الاخلاق كامل التربية مثلها فلا يصح انها لا تحسن العشرة معه او لا تكون له امينة . ومثل ذلك سائر البنات فان تعليمهن فى نفس الامر عبارة عن تنوير عقولهن بمصباح المعارف المرشد لهن ، فلا شك ان حصول النساء على ملكة القراءة والكتابة وعلى التخلق بالاخلاق الحميدة والاطلاع على المعارف المفيدة هو اجمل صفات الكمال .

ثم يقول ان علم المراة اكثر جذبا للزوج من الجمال لان الجمال عرض زائل ولكن العلم باق ينمو ويزيد ، وهو قد يغنى عن الجمال ولكن الجمال لا يغنى عنه .

وينتقل بعد ذلك الى حجة اخرى هى ان :

آداب المراة ومعارفها تؤثر كثيرا فى اخلاق اولادها ، اذ البنت الصغيرة متى رات امها مقبلة على مطالعة الكتب وضبط امور البيت والاشتغال بتربية اولادها جذبتها الغيرة الى ان تكون مثل امها . بخلاف ما اذا رات امها مقبلة على مجرد الزينة والتبرج واضاعة الوقت بهذر الكلام والزيارات غير اللازمة ، حيث تتصور البنت من الصغر ان جميع النساء كذلك فتالف ذلك من صغرها . فشتان ما بين هذه وبين من تعتمد على معارفها وآدابها وتفعل مافيه ارضاء بعلها وتربية اولادها لانها شبت على ذلك .

ثم ينتقل من الحجج الدينية والمنطقية الى واقع التجربة فيقول ان هذه التجربة اثبتت فى كثير من البلاد ان :

نفع تعليم البنات اكثر من ضرره ، بل انه لاضرر فيه اصلا .

ومن هنا نعرف ان رفاعة الطهطاوى — كما فى المثل الذى ضربه — لا يدعو لتعليم الفتاة القراءة والكتابة فقط ، بل لتعليمها ايضا : « ما يليق بالبنات ان يتعلمنه من الصنائع ، كالخياطة والتطريز » . وانه يرى ان البنت يحسن أن يقف تعليمها عندما تبلغ خمس عشرة سنة ، اى الى ما يصل بها الآن مرحلة التعليم الثانوى فى نظمنا التعليمية الحاضرة .

هذا راى رفاعة الطهطاوى فى تعليم المراة . وهو

اول دعوة نعرفها لتعليم المرأة في تاريخنا الحديث، فما هو رايه في المراة العاملة ؟ .

لا يرى رفاعة الطهطاوي باسا في ان تتولى المراة المسلمة بعض الاعمال التي تحسنها والتي تليق بها ، عند حاجتها لذلك . وهو يعتقد ان عمل المراة يحول بينها وبين الفراغ الذي يشغلها بالاباطيل ، وانه ، أي العمل ، يصونها عما لا يليق فيمكن لها : « ... عند اقتضاء الحال ، ان تتعاطى من الأشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها . فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بانفسهن . وهذا من شانه ان يشغل النساء عن البطالة ، فان فراغ ايديهن عن العمل يشغل السنتهن بالاباطيل وقلوبهن بالاهواء وافتعال الاقاويل . فالعمل يصون المراة عما لا يليق ، ويقربها من الفضيلة . واذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء، فان المراة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها وفيما ياكلون ويشربون ويلبسون ويفرشون ، وفيما عندهم وعندها ... الخ ».

بقيت هناك نقطة هي : سفور المراة واختلاطها بالرجال . وهذه لم يتحدث عنها رفاعة .

وقد تبدو هذه الآراء الآن من الامور المسلمة التي يتعجب القارىء المعاصر من بذل كل هذه الجهود وسوق هذه الحجج من رفاعة الطهطاوي لتاييدها . ولكن أحوال المجتمع حين كتب رفاعة كتابه هذا ـ حوالي سنة ١٨٦٠ (١٢٧٧ـ١٢٧٨)هـ تقريبا ـ كانت تجعل رفاعة مقدما على مجازفة وهو يقرر هذه الآراء ويدافع عنها .

علي مبارك :

دعوة علي مبارك لاخراج المراة العربية من ظلام الجهل الى نور العلم قريبة من دعوة رفاعة الطهطاوي في جملتها . فهو يدعو لتعليم المراة ، كما دعا صاحبه من قبل ، ولكنه يزيد عليه الدعوة لان تختلط بالرجل اختلاطا مهذبا في حدود الادب والاحتشام .

وهنا يحسن ان نذكر امرا ، هو التنبيه الى السبيل الذي سلكه علي مبارك للجهر برايه هذا. فقد اختار لاعلان رايه هذا طريق التلطف : ساقه على لسان مستشرق انجليزي يتحدث الى صديقه العالم العربي وولده ، ثم يترك رايه بعد ذلك للتامل والاقتناع وتطور الزمن . ولكنا نحس من حديثه وعرضه انه يؤمن بهذه الآراء ويود لو اقتنع بها اهل وطنه العرب .

ومما يقوله علي مبارك في تبرير هذه الدعوة ان مثل هذه المراة اصون لنفسها واحفظ لكرامة اهلها وزوجها . كما يقول ان المتاع الزوجي وما يستوجبه ويلازمه من الحب ، لا بد ان يقوم على اساس من التقارب الفكري ، او من المساواة الفكرية . فاذا لم يقم ذلك بين الزوجين : **« ... فكيف يوجد الحب ـ بين الزوجين ـ أو يكون للالفة اثر في القلب ... »**

وهو لا يكتفي ، في تعليم المراة ، بذلك القدر اليسير الذي يدفع عنها وصف الامية فقط . بل يدعوها لان تبعد في الثقافة والمعرفة الى اكثر من ذلك . حتى تشارك زوجها في تاليف كتاب يقترح ان يسمياه : « الارشاد في تربية الاولاد » وحتى تستطيع أن تضع ، مثلا ، «حاشية» على كتاب يرى أن تسميه : « غرائب الاشجار وعجائب الامصار » ويرى ان الحياة الزوجية تكمل سعادتها بالتقارب الثقافي والذهني بين المرء وزوجه . وان على الزوجة ان تهتم بما يشغل زوجها من الوان المعرفة . وان عليها كذلك ان تعاونه في النواحي المادية ايضا . ولا يرى بأسا في ان تعمل المراة . ولكنه يدافع دفاعا قويا عن تعدد الزوجات وعن التسري .

وقد فرق علي مبارك دعوته النظرية هذه بالعمل. فانشأ ـ وهو وزير للمعارف ـ مدرستين ابتدائيتين لتعليم البنات هما : « مدرسة السيوفية » و «مدرسة القربية» في القاهرة وجعل التعليم فيهما ـ كما جعله في جميع مراحل التعليم ـ بالمجان .

وقد كانت دعوة علي مبارك هذه ، وبالاخص حديثه عن الاختلاط وعن خروج المراة للعمل ، كفيلا بأن يجد من المعارضة مثل ما وجد قاسم امين من بعده . بل ان يلقى من الحرب والقسوة مثل ما لقي هذا ، لولا انه ، كما قلنا ، تلطف وساق هذه الاحاديث على لسان المستشرق الانجليزي الذي صحب صديقه الشيخ «علم الدين» في رحلة طويلة وتحدث اليه في امور كثيرة من شئون العلم والثقافة والحياة .

اما ثالث الرواد الى تعلم المراة العربية والدعاة الى نهضتها : «قاسم امين» فنعتقد ان حديثه ودعوته ، وما لقي في سبيلها ، يحتاج الى فصل آخر نرجو ان نوفق اليه في وقت قريب .

محمود الشرقاوي

أعلام منسيون

عبد السلام ذهني

بقلم أنور الجندي

كان ذلك اليوم ، من الايام المشهورة فى تاريخ مصر والعرب واللغة العربية ، خلال فترة طويلة من الزمن ، تبلغ الثمانية والخمسين من الاعوام ، انه فى يوم ١٦ ابريل ١٩٣٤ الذى اختاره الدكتور عبد السلام ذهنى المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة ليعلن احكام دائرته لاول مرة باللغة العربية .

وكانت قنبلة اهتزت لها دوائر الاستعمار وشغلت الصحف ، واثارت ازمة طويلة ، استتبعت استجوابا فى البرلمان ، وانعقادا سريعا للجمعية العمومية للمحكمة المختلطة ، واحتجاجا من الدول المشتركة فيها ،الى الحكومة المصرية اذ ذاك — كيف يحدث هذا الامر الخطير ، اذ يجيء مستشار حديث العهد بمنصبه فى المحاكم المختلطة ليخرق التقاليد القائمة منذ انشئت هذه المحاكم فيقدم احكامه باللغة العربية ، اما المسيو هوربيه رئيس المحكمة فقد رفض ان يوقع الاحكام ، وعبد السلام ذهنى مصر على ان تكون باللغة العربية لايقبل ردها اليه ولا صياغتها باللغة الفرنسية ، وتستمر الازمة فيمنع الدكتور ذهنى من العمل ، ولا توزع عليه القضايا ، ورئيس المحكمة يمضي فيقابل وزير الحقانية ، ويثير ازمة ، والمستشار المصرى ثابت كالطود يقول كلاما واضحا صريحا ، ويدافع عن وجهة نظره بالقانون ، ان اللغة العربية هى اولى اللغات الرسمية المقررة امام المحكمة المختلطة ، والمادة (١٦) من لائحة المحاكم تنص على ان اللغات القضائية التى تستعمل امام المحاكم فى المرافعات وفى كتابة الاوراق والاحكام هى : العربية والانجليزية والفرنسية والايطالية ، ومن الظلم ان تكون لغة البلاد الرسمية مقررة امام المحاكم المختلطة منذعام ١٨٧٦ ويهملها المستشارون المصريون ، بينما هى لغة تسعة اعشار ارباب القضايا ، فلا يصدر حكم عربى واحد ، ولا يكتب محضر جلسة واحدة بها ، ولا يتقدم محام مصرى ليترافع بها ، وهو تفريط الى استعمال الحق الذى خول لهم .

فاذا قال **هوربيه** : انه لا يفهم اللغة العربية ، كان الرد عليه : اذن لماذا يقبل الاحكام التى يكتبها المستشارون الايطاليون باللغة الايطالية مع انك لاتعرفها ونحن لانعرفها ايضا .

ومضي احد عشر مستشارا من الاجانب فى اقناع عبد السلام ذهنى ، محاولين رده عن هذا الامر دون جدوى ، فلما لم يجدو الى اقناعه سبيلا رجوه الا يثير الصعوبات امام زملائه .

فاصر عبد السلام على ان اللغة العربية مقررة رسميا واعلن انه تمسك بالاحكام التى كتبها بالعربية ومتمسك بالنطق بها كما هى ، واعلن انه لم يحاول اثارة الصعوبات امام زملائه وقال : « لقد راعيت فى الاحكام التى كتبتها باللغة العربية انها صادرة عن مصالح مصرية ، وشئون محلية يجب ان تصاغ بلغة البلاد نفسها ، وانى اعرف ان فى اقلام الكتاب موظفين يجيدون اللغة العربية ويستطيعون اخراج نسخ الاحكام بها ، وانه لامحل لمخالفة (المادة ١٦) فاللائحة عقد بين الحكومة المصرية والدول صاحبة الامتيازات ، ولذا لا تستطيع الجمعية العمومية ان تصدر قرارا يمنع تدوين الاحكام باللغة العربية ولو انها اصدرت قرارا كهذا لوقعت فى خطأ قانونى كبير .. » وقال اننى ثابت على موقفى ارفض كل الرفض نقل هذه الاحكام الى لغة اخرى وان كانوا يجهلون اللغة العربية فما ذنبنا فى عدم توافر الشروط لجلوسهم على منصة الاحكام .

ولم يمض هذا الحادث دون ان يثير فى الفكر المصرى العربى هزه ضخمة فقد كان فاتحة الدعوة الى تعريب احكام المحاكم وخطابات البنوك وفواتير الشركات والمؤسسات ولافتات الشوارع والمحلات .

واهتز الشعر للحادث فنظمت القصائد وانهالت البرقيات من الهيئات المختلفة مؤيدة ، ولم تجد الحكومةسبيلا الا ان تجرى معالتيار الوطنيالشعبى القوى ، وممن نظم شعرا فى ذلك محمد الاسمر وفايد العمروسي .

ووجهاحمد زكى باشا الملقب بشيخ العروبة خطابا مفتوحا الى الدكتور ذهنى جاء فيه قوله : **« لقد اثبت اليوم ياعبد السلام مالم يستطعه اسلافك الاولون من القضاة المصريين فى المحاكم المختلطةوانت اصغرهم سنا واحدثهمعهدا »** .

وقالت الكاتبة مى **« ان عبد السلام ذهنى لن ينهزم ، سيظلثابتا مكانه لا يتحرك ، ولئن «نعوا عنه**

القضايا فليس هو الذى يأبه لهذه المناورات ، ولئن تعمدوا اهانته فالاهانة لاتبلغ موطىء قدمه حتى تنقلب لذكره فخارا .. » .

والواقع ان هذا الامر لم يكن غريبا بالنسبة لعبد السلام ذهنى وماضيه الناصع فقد كان واحدا من المدافعين عن اللغة العربية عام ١٩٢٢ واحد اساتذة الحقوق الذين عهد اليهم اذ ذاك تدريس العلوم القانونية فى مدرسة الحقوق باللغة العربية بدلا من الانجليزية ، وقد عاشت معه هذه الفكرة حتى جاء الوقت الذى اتيح له فيه ان يدخل القضاء المختلط وينفذها على هذا النحو المثير .

وقد ادته حصافته ان يبدا على النحو الطبيعى . فقد امضى ثلاثة اشهر قبل ان يعلن خطوته ، كان خلالها يكتب الاحكام باللغة الفرنسية ، على نحو ادهش زملاءه باجادته وبراعته ، ولعله خشى ان يبدا باصدار احكامه باللغة العربية فيقال انه انما كتب بها عجزا ، فقد ترك احكامه الاولى بالفرنسية تحقق له تهنئة رئيس المحكمة ومستشاريها ليكون ذلك مقدمة لاعلان حق مصر فى تاكيد لسانها العربى فى المحكمة المختلطة .

ولم يكن عبد السلام ذهنى رجل قضاء وقانون بقدر ما كان احد المفكرين العرب ، اصحاب الاثر الواضح فى مجال الدراسات العمرانية والتشريعية فقد كتب قبل ذلك اكثر من سبعة آلاف صفحة فى ثلاثة عشر مصنفا كانت مرجعا للمحاكم الاهلية والشرعية والمختلطة فى تدعيم احكامهم .

وله بالفرنسية كتاب « مسئولية الحكومةباعتبارها صاحبة الولاية العامة ، وكتاب القطن المصرى واهميته فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مصر وله بالعربية مؤلفات فى الالتزامات والاموال والتأمينات والتسجيل والقانون التجارىوالرومانى .

وقد عمل عبد السلام ذهنى فى ميادين ثلاثة : التعليم الجامعى ، القضاء ، التاليف والصحافة ، وكان منذ شبابه على صلة بالفكر والكتابة ، ففى عام ١٩٠٧ وفى صحيفة المؤيد وبين مقالات على يوسف ومصطفى المنفلوطى وكرد على وعبد القادر المغربى وسليم سركيس تبدو مقالات عبد السلام ذهنى عن «التضامن العمرانى» واضحة الدلالة على اتجاهه الوطنى والفكرى محاولا ان يرسم للامة خطا وينشىء تيارا صريحا فى مجال العمل ، وازالة بعض ما علق بالنفوس من الياس والقنوط فى السعى ، ثم هو صاحب البحث القانونى فى المؤتمر الوطنى المعقود فى نوفمبر ١٩١٠ عن التشريع والقضاء فى مصر ، وله بحوث مستفيضة عن الصحافة وعن التطور الاجتماعى والتشريعى .

اما فى « الجامعة » فهو واحد من الذين حملوا لواء تعريب التعليم الجامعى بعد ثورة ١٩١٩ حيث عمل مدرسا بالحقوق السلطانية (١٩٢٢ — ١٩٢٧) وتكشفت اذ ذاك شخصيته ذات الطابع المميز وكان له جهده واثره فى تاسيس كلية الحقوق وتحويلها من مدرسة الى كلية جامعية .

وفى مجال « **القضاء** » اصدر مئات من المبادىء القانونية ، حيث فصل فى عديد من النقط الاختلافية على نحو جرىء ، فقد عرف عنه انه اذا اقتنع براى اظهره فى حكمه ولو خالف به احكاما سابقة مهما علت قيمة الدوائر القضائية التى اصدرتها مدللا على رايه ومفندا للاحكام السابقة بحجج علمية مبينة .

وقد ولد عبد السلام ذهنى بالاسكندرية من اسرة متوسطة فى اعقاب الاحتلال البريطانى ١٨٨٤ تقريبا وهو من اتراب عبد الحميد بدوى وعبد الحميد ابو هيف ، وعاد من باريس عام ١٩٠٦ بعد ان نال الليسانس حيث عمل محاميا فى بنى سويف وتابع دراسته القانونية حتى احرز اجازة الدكتوراه فى العلوم القانونية من كلية الحقوق فى جامعة ليون عام ١٩١٤ واجازة الدكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية عام ١٩٢١ وعمل فى التدريس حتى عام ١٩٢٧ .

عندما ولى منصب القضاء مستشارا بمحكمة الاستئناف الاهلية فالمختلطة فى اوائل ١٩٣٤ .

وقد عرف فى حياته القضائية برحابة الصدر وطول الاناة ، يرشد الجمهور الى حقوقه وواجباته وتطول احيانا جلساته الى وقت متاخر من الليل ، وكان يعمد دائما الى تصفية النزاع بين الخصوم فى الجلسة امام الجمهور ولم تعرف جلساته المشادة بين المحاماه والقضاء .

وكان الى ذلك مثقفا متصل الاواصر بتطورات الثقافه العالمية ، واسع الاطلاع فى المسائل العامة مولعا بالرياضة ، كريم الخلق طيب النفس ، صريحا يقول مايعتقد انه الحق دون مواربة ويصر عليه ، لا يرهب ولا يخاف ، وقد كانت تجربته فى اعلان احكامهباللغة العربية مثلا عاليا لهذا الخلق فىتاكيده لرايه « انما اريد ان تكون لغتنا القومية موجودة ، وهى احق من غيرها بالشيوع والاستعمال » وتوفى عام ١٩٤٣ .

« انور الجندى »

القرآن وهذا الشطط

بقلم

محمد عبدالله السمان

لست ادرى لم يصر بعض الناس على ان يحمل القرآن ما لا طاقة له به ، حين يحاول أن يخرج به عن الاطار الذى وضعه الله له ؟

ان الآيات التى حددت أهداف القرآن ، ابانت فى ايجاز انه كتاب هداية ، وتتمثل فى حدود هذه الهداية قيم التربية والتوجيه ، والعظة والتذكير ، على منهج واضح من الترغيب والترهيب ، وذلك لتهذيب السلوك ، وبناء كل من الفرد والمجتمع والدولة على اسس سليمة من المبادىء الرشيدة ، والمثل الرفيعة .

ويظهر ان مثل هذه الاهداف لم تقنع عقليات لها شغف بالغلو ، وولة بالتطرف ، فاخذت فى اجهاد اذهانها تتاول الآيات القرآنية تأولا يفسد المعنى ، ويذهب بالجمال الفنى لهذه الآيات ، لتتوهم بعد ذلك ان القرآن جمع علوم الأولين والآخرين ، بل حتى العلوم التى ستهتدى اليها عقول البشر فى المستقبل القريب والبعيد الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، لم تبنى على ماتوهمته قاعدة تؤكد الاعجاز العلمى فى القرآن .

والذين شاهدوا منذ شهور بعض حلقات برنامج « نور على نور » بالتليفزيون العربى ، التى خصصت لمناقشة فكرة الاعجاز العلمى للقرآن ثم الاقتناع بها ، واشترك فيها أستاذ للعلوم الطبيعية بجامعة القاهرة واستاذ للفلسفة بكلية اصول الدين بالجامعة الازهرية ، الذين شاهدوا هذه الحلقات لابد ان المثقفين المستنيرين منهم على الاقل لمسوا كيف استغل تفسير الآيات القرآنية استغلالا سيئا فى محاولة اثبات شىء للقرآن هو فى غنى عنه ، وخير له ان يكون فى غنى عنه ، لان اخضاع الآيات القرآنية لنظريات قابلة للأخذ والرفض ، والاقرار والنقض،قد يعرض القرآن نفسه لشىء من البلبلة . ولا اقول : الشك .

والعجيب : ان المجلس الاسلامى الأعلى التابع لوزارة الاوقاف ، اسند منذ عامين الى لجنة جمعت فاوعت من علماء الدين والمهندسين والأطباء وغيرهم لوضع تفسير علمى للقرآن ، ولم تزل هذه اللجنة تواصل مهمتها الى اليوم ، دون ما اعتبار لمجهود ضائع سدى ، **ولو** انهذه اللجنة الموقرة استهدفت وضع تفسير بيانى حديث للقرآن مجرد من الحشو والاسفاف اللذين عنيت بهما التفاسير الموروثة ، لكان خيرا لها الف مرة ومرة من محاولة لا ترفع من قدر القرآن بل ربما تغض به ، **ولعل** اللجنة الموقرة ايضا قد غاب عنها ان المرحوم الشيخ **طنطاوى جوهرى** سبق أن وضع تفسيرا علميا للقرآن اسماه « **الجواهر** » تكلف فيه وتعنت . وشط وتطرف ، ولا اعتقد انه نال تقدير مثقف مستنير ، وها هى ذى طبعته الأولى منذ زهاء ربع قرن لم تنفد بعد ، واصبح هذا التفسير من التفاسير المهجورة لا المطروقة ، مع ان المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى كان عالما وحكيما واديبا ، واستاذا بكلية دار العلوم ، متقنا بعض اللغات الاجنبية ومن الذين الفوا فى كثير من الفنون وبالأخص الموسيقى العربية .

واعجب من هذا وذاك ان طبيبا معاصرا يتمتع بجانب من الشهرة اضاف منذ شهور الى المكتبة العربية كتابا اسماه « القرآن والطب » اكره فيه الآيات القرآنية على ان تكون طوع تفكيره او طوع خياله بعبارة ادق . ولمثل هذا الكتاب خطورته لان مؤلفه طبيب يثق العوام فيما يكتب باعتبار تخصصه، **وازاء هذا** لاالوم اذن على المشعوذين وكتاب الاحجبة والتعاويذ الذين لم يزالوا يباشرون مهمتهم فى علاج الامراض المستوطنة وغير المستوطنة فى الريف بالآيات القرآنية ، ولازلت اذكر احد المشعوذين فى قريتنا ، كان يعالج كل مريض بكتابة قوله تعالى : «وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم» فى اناء ثم يذيبها بماء يقرا عليه فاتحة الكتاب وآية الكرسى سبع مرات ، ويسقيه للمريض المغلوب على امره .

***

ان المتعصبين لفكرة الاعجاز العلمى للقرآن يجانبهم الصواب حين لا يقفون عند حد المفهوم للفظة الاعجاز فالاعجاز لغة معناه آتيان شىء خارق للعادة يعجز عنه البشر ، ومن هنا كان القرآن معجزا من الناحية البيانية ، تحدى الله به البشر ، وسيظل تحديه قائما

البقية على صفحة ٣٢

في رحيل العقاد

المعبد الحزين

للشاعر محمود حسن اسماعيل

مع الطارق الاخير لباب المعبد ، وهو يتسلل الى محراب الفكر ، والعبقرية ، والخلود .

من ذلك الطارق ؟ .. لا صوت ، ولا دق يد ..
هز السكون !
ولا عزيف من خيال .. مس صمت الأبد ..
ولا ظنون !
ولا رؤى عقل .. من الأوهام مهتز اليد ..
ولا جنون !
ولا اساطير .. تهاوت من رغاء الأبد
ولا شجون !
ولا شراع .. شيع الريح بهمس الزبد ..
ولا سفين
ولا صدى من دمدمات النفس .. طى الخلد ..
ولا رنين !
الباب صمت ، والدجى صمت .. غريق الكمد ..
ولا عيون ،
ترمق شيئا ، اى شيء ، .. فى سكون المعبد ..
.. ماذا يكون ؟!
.. انامل خفية تنسل .. دون موعد ..
الى الجفون
تستل بالفجاة شيئا ، من كيان الجسد ،
لا يستبين ،
فيطفا النور .. بلى !! الا على موسد
فى الخالدين !!
تلفت المحراب ، كالمأخوذ فى دهشته
الى الفضاء !
وحومت اسراب طير هجن من حيرته
بلا غناء !
نوادبا ، تنزف نار الثكل من مهجته
بلا بكاء :
تدور حول فجرها المسبل فى رقدته
على الضياء !
مذبوحة الأوتار .. لم تعزف على بغتته
الا دماء !
اذهلها الاعصار ، لم تمهل خطا دورته
يد القضاء !
اذهلها الجبار .. لم تخذله عن قوته
الا السماء !
اذهلها التيار .. لم يفصمه عن لجته
الا الفناء ،
اذهلها الاصرار .. سجاه على وقفته
فى كبرياء !!
اذهلها الموت ، وما يخفيه من فجاته
حين يشاء
فاطرقت للمعبد المخنوق فى دمعته
تبغى العزاء !!
وانتفض المحراب من غشيته يروى أساه
رؤيا نشيد !
ياراهب الفكر ، ويا مايرده المعلى ذراه
فوق الوجود !
جعلته قدسا عتى الافق لا يروى ثراه
الا السجود !
جعلته حرا ، ابى الحرف ، تجتاح خطاه
وهم القيود !
جعلته شمسا على الانسان تسقيه ضحاه
انى يريد !
جعلته لا يجعل اللقمة همسا فى سراه
شان العبيد !!
جعلته لم يبق للجهل امانا فى كراه
حتى يبيد !!
جعلته دين الخطا .. ان قدس الزحف هداه
يفنى الحدود !!
جعلتنى ديرك . لم تشرك به الا هواه ..
يا للعهود !!
عشنا معا .. حتى اذا المقدور بى القى عصاه ،
وانشق عود ..
بنى لك الدهر على طول المدى ، فوق الشفاه
دير الخلود !!

محمود حسن اسماعيل

الذكرى العطرة

للشاعر محمد هارون الحلو

خير البرية في الخلائق احمد ... صلى عليه الله فهو محمد
من عهد ابراهيم ، وهو رسالة ... في الغيب يحفظها الزمان الأسعد
بشرى المسيح غدا بها في قومه ... ومضي بآيات الهدى يتزود
عبر القرون بهن أحمد ، واستوى ... فينا ، وفي يده اللواء الأمجد
هذا النبي ، هو الذؤابة من بني ... عدنان ، وهو على العروبة فرقد
يا خير خلق الله يومك آية ... للحق نحفظ عهده ، ونجدد
يا خير خلق الله يومك نفحة ... علوية من فيضها نتزود
يا خير خلق الله يومك صفحة ... وضاءة فيها العلا ، والسودد
ذكرى بها ارتقب الزمان شبابه ... غضا ، وندى راحتيه المولد
غيث صبيب في الوجود تدفقت ... منه الهداية فهو نعم المورد
وسنا تالق في القلوب • ضياؤه ... امل تقر به العيون ، وتسعد
في كل عام للزمان قلادة •• ... بالمشرق الأسنى تعز ، وتمجد
الله جل قد اصطفاه لأمة ... يوما كريما نوره يتجدد
هو يوم خير الخلق يوم محمد ... يوم اغر على الزمان مخلد
نعم البشير ، وقد افاض على الورى ... نورا سناه على الصباح مورد
جاء النبي مزودا برسالة ... ومضي بها يهدى القلوب ، ويرشد
ويعد للناس الحياة كريمة ... ويقيم اركان العلا ، ويشيد
وكتابه بيمينه يهدى به ... للرشد ، والله العلي مؤيد
كانت حقيقة دينه في هديه ... للناس : أن الله رب أوحد
شمس الهداية ، قد غدوت برحمة ... للخلق ، والأيام عيش أنكد
كانت قريش تهيم بين جهالة ... جهلاء ، تجثو للضلال ، وتسجد
ويخر للصنم الأصم جبينها ... ياسوء ما اعتصموا به ، وتزودوا
سلبوا الخلال كريمة ، واضلهم ... ابليس ، وهو على الغواية مفسد
فسطعت في حلك الظلام ، واشرقت ... بك في الوجود حقيقة لا تجحد
وغدوت فيهم منذرا ، ومبشرا ... تهدى الى الحسنى ، ودينك ارشد
في يثرب انبثق الضياء ، وهللت ... بالفرصة الكبرى قلوب تنشد
وافاهم الأمل السنى ، فعانقوه ... وآثروه ، وهم له نعم اليد
لك ما قلهوا به من نصرة ... المختار ، والمختار فيهم سيد
قد ملكوه رقابهم ، ومضوا على ... حكم النبي ، فآزروه ، وأيدوا
وهو الحفي ببرهم ، وبودهم ... وهو الكريم بما به يتودد
دين السلام اقام منه منارة ... للحق تهدى للحجى ، وتسدد
وبنى اساس العدل ، وهو كرامة ... في ظله العيش الهنيء الأرغد
طوبى لنا هذا اللواء يؤمنا ... وعليه نمضي للعلا ، ونشيد
صلى عليك الله يا فلق الهدى ... مارف في افق الصباح مغرد

محمد هارون الحلو

بقية المنشور على صفحة ١٩

ما قامت السماوات والأرض .. اما العلم بسائر نظرياته فمن صنع البشر ،ولايصلح قاعدة للتحدى، لأن نظرياته من الممكن الا تتمتع بصفة البقاء ، وفى كل يوم تظهر نظريات اخرى جديدة ، وسيظل الفكر البشرى ينتج وينتج الى ما شاء الله .

وهؤلاء المتعصبون لفكرة الاعجاز العلمى للقرآن يعتمدون كثيرا فى محاولاتهم على قوله تعالى : « مافرطنا فى الكتاب من شيء » **وازاء** هذا يؤكدون احتواء القرآن على علوم الاولين والآخرين ، **على** ان الآية ليس فيها ما يطمعون فيه ، والمفسرون القدامى والمحدثون على السواء لم يتفقوا على ان المقصود بالكتاب فى الآية القرآن ، **فمنهم** من يرى انه اللوح المحفوظ ،**ومنهم** من يرى انه العلم الالهى المحيط بكل شيء ، **والذين** يرون انه القرآن قالوا فى تفسير الآية **وهذا قول القرطبى** : ما فرطنا فى الكتاب من شيء اى ما تركنا شيئا من أمر الدين الا وقد دللنا عليه فى القرآن ، اما دلالة مبينة مشروحة واما مجملة يتلقى بيانها من الرسول او من الاجماع او من القياس الذى ثبت بنص الكتاب »

ولا جدال بعد ذلك فى ان التعصب لفكرة الاعجاز العلمى للقرآن لابد ان يقترن بالضغط على الآيات القرآنية حتى تستجيب ، وبالتماس تفسيرات لها لاترتبط بمفهومها الذى أراده الله فى شيء ، **ولا اعتبار** بالطبع للتناقض الذى لابد ان يكون . وسأعرض مثلا واحدا ، من كتاب عن القرآن والعلم الحديث ، أصدر مؤلفه غيره عديدا من الكتب فى هذا المجال ، وفى هذا الكتاب وغيره يحاول المؤلف أن يعتبر ان القرآن ليس كتابا علميا وحسب ، بل هو مصدر لكل نظريات العلم الحديثة ، **فهو** يذكر مثلا ان : اهم النظريات العلمية التى بنيت عليها قواعد علم الوراثة الذى يعتبر من اهم العلوم التى يتميز بها العصر الحديث .. وان من ضمن النظريات العلمية فى علم الوراثة التى سبق بها القرآن هذا العلم نظرية وراثة الصفات .. وقد توصل **فرانسيس جولتون** فى عام ١٨٩٧ الى وضع قانون اسماه « **قانون التوارث عن السلف** » استمده من نتائج أبحاثه ، ويتلخص هذا القانون فى ان كل فرد يأخذ نصف صفاته من أبيه والنصف الآخر من امه ... ومن عجب أن القرآن الكريم قد قرر هذه النظرية قبل العلم بعشرات المئات من السنين، اذ يقول فى سورة مريم « يا أخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا » .. أى ان مريم لا يمكن ان تكون خاطئة او آثمة اذ لم ترث هذا الخطأ من الأب أو الأم .

ولا حاجة بنا الى القول بأن المؤلف يخلط بين الصفات المادية البدنية التى تدخل فى نطاق علم الوراثة او السلالة ، والتى اقام عليها جولتون نظريته ، وبين الصفات المعنوية الخلقية التى اشارت اليها الآية القرآنية المذكورة ، فالصفات الاخيرة لا علاقة لها بالسلالة او الوراثة ، على الرغم من أن الآية القرآنية خاصة وليست قاعدة عامة ، والا فكيف نفعل بنصة ابن آدم قابيل الذى سفك دم اخيه بنص القرآن ؟ فمن أين ورث صفة سفك الدماء هذه ؟ والغلام الذى قتله الخضر امام موسى خشية ان يرهق ابويه المؤمنين طغيانا وكفرا ، فمن اين ورث صفتى الطغيان والكفر وابواه مؤمنان ؟

وبعد — فنحن لا ننكر ان القرآن لا يمكن أن يعارض العلم ، لان العلاقة بينهما قائمة من حيث دعوة القرآن الانسان الى النظر فى الكون وتدبر آياته وعجائبه ، **فالكون** — كما يقول الامام **محمد عبده** — كتاب مفتوح يقرؤه كل انسان ويتأمل فى خلق الله — وازاء هذا الفهم القرآن ، برزت مجهودات بعض المفكرين الاسلاميين فى شتى ميادين العلم امثال : **الخوارزمى والبيرونى وابن الهيثم والبتانى والرازى والكندى والخازن وابن سينا .**

اما الذى ننكره هو الضغط على الآيات القرآنية الى درجة الشطط والاعتماد على قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » لنخرف بما لايعقل، فهل من المعقول ان نرحب بالقول المنسوب الى ابن عباس : « لوضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى » ام نطمئن الى قول ابن العربى : « علوم القرآن خمسون علما ، واربعمائة علم ، وسبعون الف علم ، على عدد كلم القرآن ، مضروبة فى اربعة ، اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع .. وهذا مالا يحصى ولا يعلمه الا الله » ؟؟

« **محمد عبد الله السمان** »



الكوميديا في مسرحنا

بقلم عبد الفتاح البارودى

ان ظاهرة ضعف التقييم الفنى تبدو بوضوح فى موقف النقاد من الروايات الكوميدية ، سـواء الروايات التى قدمتها الفرق التليفزيونية أم الفرق الاهلية ٠٠٠ وهذه ظاهرة خطيرة ، لان الكوميديا من أقرب الالوان المسرحية الى الناس ، واوثقهـا ارتباطا بالمجتمع ، واكثرها فاعليـة فى النقـد الاجتمـاعى ، فكيف ندرك أسرارها اذا لم نهتم بتقييم الكوميديات التى تعرض على مسرحنا ؟!

خذ مثلا ٠ كوميديا (الخاطبة) التى الفها ثورنتون وايلدر وترجمها صالح زكى واخرجهـا محمود مرسى للمسرح التليفزيونى ٠٠ هذه الـكوميديا ليست من الكوميديات العالمية المستوى ، فان طابع « الفارس » يغلب عليها ، وفيها خطابيات مباشرة ومطولة ، والمؤلف يتعمد الاضحاك أحيانا بوضـع الرجل فى ملابس المرأة ووضع المرأة فى مـلابس الرجل ، ورغم كل عيوبها فان مؤلفها يسخر بهـا سخرية شديدة من المجتمعات الراسمالية ٠٠٠ انه يضحك الامريكيين على أنفسهم ٠٠ انه يصور لهم مساوىء سيطرة المال على المجتمع الامريكى ، وتفاهة اهتمامهم بالمظهريات ٠

فنحن نرى «جيلدر» الثرى الذى تجاوز الخمسين يريد أن يتزوج فتاة عمرها ١٨ سنة ، وينظر الى رئيس العمال فى متجره كما ينظر الى حذائه ، وكل هذا لمجرد انه ثرى ٠٠٠ ونحن نرى من جهة أخرى أن رئيس العمال عندما يسافر الى نيويورك ويدخل أحد المطاعم بها ينظر الى « الجرسون » فيتوهم انه « لورد » لمجرد انه يرتدى ملابس الجرسونات التى تشبه ملابس اللوردات ٠٠٠ ونحن نرى من جهة ثالثة أن « مسز ليفين » تحتال على « جيلدر » حتى تتزوجه لمجرد طمعها فى ثروته ٠٠ الخ ٠

هذا يعطينا فكرة عن قدرة الكوميديا ـ حتى ولو كانت من نوع « الفارس » ـ على النقد الاجتماعى وفعلا يعتبر الفن الكوميـدى من أقوى الادوات النقدية ٠

ونحن فى مجتمعنا الذى يؤمن بضرورة النقـد والنقد الذاتى ، أحوج ما نكون الى ممارسة هـذا الفن ، ولكن كيف نمارسه ممارسة فنية سليمة اذا كنا ننظر اليه كتسلية فقط ٠٠ لو كنا ننظر اليه نظرة جادة لاهتممنا بتقييم الروايات الكوميدية التى تعرضها مسارحنا ، وخاصة أن الكوميديات التى قدمها المسرح التليفزيونى ـ مثلا ـ اجتذبت جمهورا ضخما ٠٠ اذن لماذا تجاهلها النقاد ! ٠٠

بعضهم يعلل هذا التجـاهل بأن كوميدياتنا ـ غالبا ـ مترجمة أو مقتبسة من كوميديات أجنبية هى بطبيعتها تعتبر نقدا لبيئتها الاصلية التىظهرت فيها ٠٠ وهذا صحيح ، ولكن هذه الـكوميديات نفسها تعتبر بالنسبة لنا نماذج تطبيقية نعرف منها كيف يعالج المؤلفون العالميون هذا الفن ، وكيف ينقدون اخطاء مجتمعاتهم بالاسـلوب الفنى ٠٠٠

وكوميديا (الخاطبة) التي أسلفت الاشارة اليها تعتبر مثالا لذلك ... وهناك طبعا امثلة لاحصر لها من كوميديات اخرى في مجتمعات أخرى .. فليس في الدنيا مجتمع واحد لايحتاج الى نقد ، ولهذا تعددت اساليب الكوميديات في مختلف المجتمعات ومختلف العصور ، ومن المفيد لنا ان نعرض مختلف الكوميديات على مسارحنا لنعرف مختلف هذه الاساليب ، ونحاول ان نؤلف كوميديات خاصة بنا ومرتبطة بمجتمعنا .

واذن فمن الضروري الاهتمام بالكوميديات المترجمة ، وبالكوميديات المقتبسة اذا كانت عملية الاقتباس سليمة فنيا .. اما اذا كانت مقتبسة بطريقة ارتجالية كما يحدث أحيانا ، فان هذا أدعى الى الاهتمام أيضا لنكشف أخطاءنا ونوجه الكتاب توجيها فنيا ... هذه كلها مسائل يعتبر النقاد مسئولين عنها ، فكيف يتجاهلون واجباتهم نحو تقييم الكوميديات ؟! .

العجيب أن بعضهم يعلل هذا التجاهل - بالنسبة للكوميديات المؤلفة مثلا - بأنها هابطة المستوى ، ولهذا فانها في نظرهم لا تستحق المناقشة .. وهذا بالبداهة منطق معكوس ، فقد كان الاجدر بهم أن يتناولوها بالشرح والتحليل ، لمعرفة أسباب هبوط مستواها ، ومحاولة معالجة هذه الاسباب .

مهما تكن حالة الكوميديا عندنا فان فرقتنا الكوميدية في حاجة الى تقييم فني ، لانها - وبخاصة الفرق التليفزيونية - تبذل جهودا ضخمة ، وهذه الجهود يمكن بالتقييم توجيهها وتعميقها ... فنحن في حاجة الى فهم طبيعة ووظيفة الكوميديا لنضع هذه الاداة الاجتماعية في خدمة المجتمع .. ونحن في حاجة الى خلق المؤلف الكوميدي لانه لم يولد بعد في بيئتنا .. ونحن في حاجة الى تصحيح مفهوماتنا عن الكوميديا لان كثيرين لايزالون يتوهمون انها ضحك واضحاك في حين انها أحيانا تقترب من « المأساة » ، كما هو الحال في بعض كوميديات موليير مثلا .. ونحن في حاجة الى الانتقال من مرحلة الاقتباس لان كثيرين لايزالون يقتبسون بلا هدف فني ، بل لمجرد الاستفادة من « التركيبة » الفنية في الكوميديات الاجنبية وحشوها بالنكت والافتعالات .. الخ .

كان من واجب النقاد أن يتناولوا كل هذه النواحي من خلال تناولهم للكوميديات التي عرضت في هذا الموسم .

فمثلا كان يمكن من خلال مناقشة المترجمات الكوميدية ان نأخذ فكرة عن أصول الكتابة الكوميدية ولكن عندما عرضت هذه المترجمات لم نجد من يرشدنا الى ذلك ... ان كوميديا « الخاطبة » عرضت منذ أيام ولم نجد من يشرح لنا فن مؤلفها ثورنتون وايلدر .. و « مقالب سكابان وطبيب رغم أنفه » عرضتا منذ قريب ولم نسمع شيئا عن فن مؤلفهما موليير .. وهكذا .

لو اننا ناقشنا فن ثورنتون وايلدر لأخذنا فكرة عن الصورة التي تطورت اليها الكوميديا في أمريكا انها صورة أعمق بكثير من الالوان السائدة في المسرح الكوميدي الامريكي الذي تنتشر فيه الكوميديا الموسيقية والاستعراضية والهزلية .. الخ ثم ان هذه الرواية قدمت لنا ظاهرة جديدة ، أو على الاقل أكدت هذه الظاهرة .. فهي مكتوبة باللغة الفصحى ومع ذلك فهمها الجمهور واقبل عليها وضحك في مواضع الضحك ... ان هذا يضع حدا للمشكلة الساذجة التي شغلتنا طويلا بلا مبرر ، وهي مشكلة المفاضلة بين الفصحى والعامية في المسرح ، وفي الكوميديا بالذات ، فالعبرة في المسرح بلغة المسرح ... كذلك قدمت لنا هذه الرواية ظاهرة اخرى : كيف اقبل المتفرجون على هذه الرواية رغم أن شخصياتها وأحداثها تدور في بيئة امريكية غريبة عليهم ؟! ان هذا يؤكد أن الكاتب الذي يصل الى المستوى الفني يستطيع أن يعمق الاحداث المحلية عن طريق ربطها بروابط انسانية ، وبذلك يتحول الموضوع المحلي الى موضوع يفهمه الناس في بيئته وفي غير بيئته .. ان هذا يفيدنا في ادراك أسرار التأليف الفني .

أيضا لو ناقشنا روايتي موليير لأخذنا فكرة عن المراحل التي تطور فيها فن موليير تطورا سليما حتى وصل الى ذروة التأليف الكوميدي .. ان الروايتين من نوع « الفارس » ، والشائع بيننا أن « الفارس » ليس له قيمة فنية كبرى .. ولكن موليير استطاع أن يمارسه ممارسة أكسبته قيمة كبرى ، وعلى هذا الاساس استطاع ان يتطور به الى الكوميديا الرفيعة .. هذه أيضا نقطة تفيدنا جدا في تطوير محاولاتنا التي تشبه « الفارس » الى محاولات تفتح لنا طريق الوصول الى الفن الكوميدي .

واذن فمن الواضح أن تقصير النقاد في مناقشة الكوميديات المترجمة التي شاهدناها في هذا الموسم أضاع علينا فرصة الاستفادة من عرضها ٠

كذلك شاهدنا مقتبسات كوميدية كان من المفيد جدا أن نناقشها ٠٠ وليست المشكلة اننا نقتبس ٠ فمن البديهي أننا نلجأ الى الاقتباس بسبب افتقارنا الى « المؤلف » ٠٠ وانما المشكلة هي : لماذا نقتبس ـ غالبا ـ من ألوان معينة لانكاد نتجاوزها ؟! لقد حدث خلال الموسم أن فرقة المسرح الكوميدى قدمت رواية باسم « لوكاندة الفردوس » ، وفرقة الريحانى قدمت رواية باسم « كل ده كان ليه » ، والمدهش أن الروايتين مقتبستان من مصدر أجنبي واحد ٠٠ والسؤال هو : لماذا اعتاد المقتبسون عندنا أن يقتبسوا من مصادر معينة ؟ ٠

الواقع أن مسرحنا في الماضي لم يكن يعرف أهداف الكوميديا ، ولهذا لم يهتم بها كأداة نقدية بالمعنى الحقيقي ٠٠ ان الظروف التي عاش فيها مسرحنا في الماضي لم تسمح له بالتعمق ،ومن أجل ذلك استخدم الكوميديا بالمعنى الهزلى ٠٠ والنتيجة أنه عندما التجأ الى الاقتباس اختار روايات لايقصد بها غير اثارة الضحك بأساليب سطحية ٠٠ لو أن النقاد ناقشوا الروايات المقتبسة لألقوا الضوء على هذه الحقائق ، ولحاولوا تغيير هذا التقليد الذى سار عليه مسرحنا فترة طويلة ، ولحاولوا توجيه الفنانين المسرحيين الى ضرورة فهم وظيفة الكوميديا ومدى ارتباطها العميق بالمجتمع ٠

تحدثت عن هذا النوع من المسرحيات المقتبسة لأن فرقنا الاهلية اعتادت تقديمه واعتمدت عليه اعتمادا رئيسيا ، وهى فرق لها جمهور كبير ، ومن واجبنا فى مرحلة الوعى أن نهتم بها لنحاول تصحيح مفهوماتنا الفنية ٠

اما فرق التليفزيون فرغم أنها قدمت روايات كثيرة من هذا النوع أيضا ، فانها قدمت محاولات كثيرة اخرى من أنواع مختلفة ، وهى فى ذلك كله فى حاجة الى النقد الواعى ٠٠ لو أن النقاد ناقشوها لاثاروا مشكلات فنية فى غاية الافادة ٠

بصرف النظر عن مشكلة الاقتباس من الهزليات التي يجب التوقف عن اقتباسها ، أمامنا مشكلة الاقتباس من الكوميديات ذات القيمة الفنية ، وهل الافضل أن نقتبسها أم نترجمها كما هى ٠٠٠ واذا اقتبسناها فهل نغير فقط اسماء الشخصيات واماكن الاحداث ، أم نأخذ فقط هيكلها ونضع فيه شخصيات واحداثا محلية ؟ وامامنا مشكلة التناول الفنى ٠٠ ان مسرحية « العبيط » مثلا فكرتها جيدة جدا ، والتناول جيد أيضا لولا شىء من الاسراف فى تحضير مكونات الاضحاك ، ولهذا ازدحمت الرواية بالاحداث وبالشخصيات ، ومع ذلك تعتبر من أنجح روايات الموسم ، بعكس رواية « ملكة الاغراء » التى فشلت رغم أن فكرتها جيدة جدا ٠٠٠ انها تحاول تصوير أسباب تخلف الفن السينمائى عندنا نتيجة للجهل المتفشى فى الحقل السينمائى ٠٠ فنحن نرى راقصة لادراية لها بالسينما تتحول الى منتجة سينمائية ، وفعلا تنتج فيلما يقوم بتنفيذه فنانون وفنيون فى مثل مستواها الجاهل ، ومع ذلك ينجح الفيلم وتتحول الراقصة الى « ملكة اغراء » يتهافت الصحفيون على نشر اخبارها ، وتفكر فى انتاج فيلم آخر ٠٠ المسرحية بهذا الشكل تعرض أزمة السينما عندنا عرضا ساخرا واحداثها مرتبطة بواقعنا السينمائى ، وخاصة عندما كان يسيطر على افلامنا منتجون جهلاء ٠٠ اذن لماذا فشلت ؟ السبب الاساسى هو أن التناول الفنى كان سيئا بحيث حول الموضوع الى تهريج ٠

لو ان نقادنا حاولوا تقييم نشاطنا الكوميدى تقييما فنيا لاستفدنا من الروايات التى عرضت خلال الموسم ، ولأمكن أن نعرف المزايا والعيوب ، ولكنهم تجاهلوا معظم الروايات ، وتركوا المناقشات الجادة ، وتطرقوا الى موضوعات فرعية أو شكلية ٠

مهما يكن الراى فى مستوى الروايات فان الفرق الكوميدية قامت بمجهودات شاقة ، واجتذبت جمهورا ضخما ، وقدمت موسما فى غاية الحيوية ، لولا الافتقار الى النقد العلمى الموضوعى الذى كان يجب أن يضىء لها الطريق لتدرك حسناتها وسيئاتها وبذلك تنتقل نهائيا من مرحلة الاضحاك الى التعبير الكوميدى ٠٠٠ سنحقق ذلك بالنقد العلمى ، ولكن اين هو النقد العلمى ؟ ٠

« **عبد الفتاح البارودى** »



الهنبقة ..

ناقشنى الصديق **الدكتور محمد النويهى** فى مقاله بالعدد الماضى من الرسالة كما لو كنت منكرا على الادباء أن يبحثوا عن اشكال جديدة .. فليبحثوا يا اخى ، بل يجب على كل اديب يشعر ان لديه مضمونا يحتاج الى شكل جديد ـ ان يبحث .

لا اخالفك فى ذلك ايها الأخ الكريم ، ولا حتى فى أن يخطىء الباحث الجاد عن الشكل الجديد ، ولم انكر التجربة والخطأ ... الى آخر ما رحت تبسطه وتعززه ، كأنى وإياك فى ذلك على طرفى نقيض ..

لقد نقلت المسألة من قطاع خاص الى قضية عامة .

كان موضوعى هو المسرحيات التى قلت فى مقالى الاول انها لا تحمل مضمونا مقنعا بانه يحتاج الى شكل جديد ، ووقفت عند مسرحية « الفرافير » ليوسف ادريس كمثال . وجئت انت تقول لى ان يوسف له انتاج سابق يجعل من المستحيل عليه ان يكون ذلك لقد ميزت انا بين انتاجه السابق وانتاجه اللاحق ، فاعربت عن تقديرى لقصصه القصيرة ، وابديت رأيى فيه من حيث ان القصة القصيرة هى الفن الادبى الذى يجيده .

انسان يجاوز ما يحسن الى مالا يحسن ، افليس من حقنا ان نقول له انك لم تحسن فى هذا واحسنت فى ذاك ؟

اذن ما الوجه فى ان يمنع انتاج سابق لمؤلف من ان يكون دعيا فى لون آخر من التاليف ؟ !

وهل ترانى ـ بعد ذلك ـ لم اميز بين الادعياء والمخلصين حتى تقول فى هذا الصدد : « وان لم يميز الناقد بين الادعياء الكاذبين وبين المخلصين المخطئين فاى نفع يرتجى من نقده ؟ » ؟

نقلت المناقشة بيننا من هذا الى قضية عامة عرضت نفسك فيها على انك وحدك نصير المجددين، وانى اخالفك فى الدعوة الى التجديد ..

وانى والله لا اخالفك الا فى اشياء ليست من التجديد فى شىء ، منها « **الهوس** »

اذا كان الاديب عنده مضمون فى حاجة الى شكل جديد ، ويبحث عنه ، ويأتى به ولو مخطئا .. فهل هو « مهووس » ؟ انا لا اراه كذلك ..

واذا لم يكن لديه ذلك المضمون وشغل نفسه بشراء «البردعة» قبل شراء الحمار ـ ولا تؤاخذنى فى هذا التشبيه فأنا فلاح ـ فانه « مهووس » أو قل انه « **يهنبق** » و « **الهنبقة** » كلمة فصيحة حرفت الى « **الهمبكة** » العامية ..

والهوس : الجنون ، وقد كنت اعجب كيف تناصره واعلنت فى تعقيبى على رسالتك انى لا اوافقك عليه ، ولكن تبين لى انك تستعمل الكلمة « الهوس » فى غير مدلولها ، اذ قلت معرضا بفهمى : « **وقد رد الاستاذ عباس خضر على تعقيبى هذا فرمانى بالتناقض ، اذ كيف اتعاطف مع « متهوسين » ؟ وفهم أن « التهوس » تسليم منى بعدم وجود مضمون جديد يحتاج الى شكل جديد** » الى ان قلت : « **على أن هناك فرقا بعيدا بين « التهوس » و « الشعوذة » ، فالتهوس باستعماله المقصود هو الافراط فى الحماسة الناشىء عن الاقتناع الحار العميق بصدق القضية التى يؤمن بها الفرد الى حد قد يدفع بالفرد الى الشطط عن الطريق السوى لخدمة قضيته أو اثبات صحتها .** »

عند ذلك ادركت الا خلاف بيننا فى المدلول .. ولكن ماذنبى انا اذا كنت انت استعملت اللفظ فى غير معناه ؟ **من لى بانك ستجعل المجنون يؤمن بقضية**

ويقتنع بها اقتناعا حارا عميقا ... الخ ؟ لم لم تقل هذا من الاول ؟

ومن الاشياء التي نختلف فيها وصفى للمتهوسين المهنبقين الذين لا مضمون عندهم يحتاج الى شكل جديد ، ومع ذلك يهنبقون كي يلفتوا اليهم الانظار .. وصفى لعمل هؤلاء بالشعوذة والتهريج ... الخ ، والدكتور محمد النويهي يدافع عنهم ، بل هو لا يكتفي بالدفاع ، بل يحزن من اجلهم ، اذ يقول : **« وهذا - اى ذلك الوصف - ماأخذته على الاستاذ عباس خضر وما احزنني ان اراه يصر عليه ويضيف اليه »**

انت رجل طيب يادكتور نويهي .. ولكن ماحيلتي اذا كنت اجد اشياء هي بمثابة المضمون الذي يحتاج الى شكل .. اى كلمات تعبر عنه .. ؟ هل تريدني ان اسكت عن الحق او الذي اراه حقا ؟ لماذا تتخلى عني هنا ؟ اعتبرني على الاقل متهوســـا وتعاطف معي ..

لا تحزن يا اخى ، ان تصرفهم وهنبقاتهم لاتستحق مشاعرك الطيبة ..

ان اتهامنا اديبا بالكذب الفني ليس تجاوزا للحق النقدى ، كما طاب لك أن تقول في ذلك الوصف ، بل هو من صميم عمل الناقد ، **واى عمل للناقد اهم من ان يميز في العمل الادبي بين الصدق والكذب الفنيين** ؟ لعل هذا واحد من الاشياء التي نختلف فيها وان كنت اراه بدهيا لا يحتمل الخلاف .

بقي الخلاف الذي وصفته بالكبر في قولك **« وخلافى الكبير معه - معى - هو ماذا نعني باصطلاح « الشكل » ؟ فهو يتحدث كما لو كان الشكل في الشعر مقتصرا على الوزن العروضي ، لذلك يرى ان مغزى كلامي هو ان الشاعر الجديد الذي يريد ان يجدد في الشكل لابد ان يترك البيت القائم على التفعيلة ويأتي ببيت تكون وحدته نصف تفعيلة ، ثم ربع تفعيلة ، وهكذا ... ولست ادرى كيف يقع مثله في مثل هذا الخطأ ... »**

احب ان اقول اولا انى لا اعارض الشعر الجديد، بل ارحب بما يقنعنا منه بمضمون جديد .. والمضمون دائما ... فانا من حيث المضمون «متهوس» بالمعنى الذي اتى به الدكتور للتهوس..

واضيف انني قل أن اجد فيما يقال من الشعر - تقليديا كان او جديدا - مضمونا يقنعني بأنه يستحق القراءة ..

ثانيا - لست ادرى مم اتى الدكتور بانى اختلف معه في اصطلاح « الشكل » ؟ وبان مثلى وقع في مثل هذا الخطأ ! **انه يفترض اولا انى وقعت في خطأ .. ثم يتعجب من وقوعى فيه .. !**

لقد قال ان على اى اديب - لكى يكون عظيما - ان يبتكر شكلا جديدا .

فقلت ان هــذا يجر الى ان يبحث كل فرد عن شكل غير الشكل الذي يقول عليه الآخر .. مثلا : على الشاعر الجديد الذي يرى ان الشعر الجديد الآن يقال على التفعيلة الواحدة .. عليه أن يبحث عن شكل لم يسبق اليه ، شكل تكون الوحدة فيه « نصف تفعيلة ! » . وعلى من بعده أن يقول الشعر على « ربع تفعيلة ! » وهكذا ...

وواضح ان ذلك انما هو ذهاب مع القول بأن الاديب لكى يكون عظيما عليه أن يبتكر شــكلا جديدا .. ذهاب مع هذا القول الى حد نرى فيه فساده ، وهو ان يقول الشاعر على نصف تفعيلة ! او على ربع تفعيلة !

فاذا كان الدكتور قد اخذ هذا « الذهاب » على انى فهمت انه مغزى كلامه ، برغم السياق وبرغم علامة التعجب بجوار نصف التفعيــلة وربعها .. فاني اقول للمرة الثانية انه رجل طيب .

واخيرا ينتقل الدكتور النويهي الى الموضوع الأصلى لمقالتي الاولى فيقول :

« ... اما في فن مختلط مثل الفن المسرحى - وهو الموضوع الأصلى لمقالة الاستاذ خضر التي اعترضت عليها - وهــذا فن يمزج بين الالفاظ والالقاء والحركة ، ويجمع بين الادب والتمثيل والغناء والموسيقى والرقص والتحريك الآلى ، فواضح ان مجال التجديد في الشكل ، اى في طرق اداء المضمون ، اوسع بكثير . ولا شك أن كل مؤلف مسرحى عظيم نالت العظمة في العصر الحديث ، من ابسن الى شو الى برخت قد ادخل ابتكارا شكليا بارزا على فن المسرحية ، يقوم بهدفه المضموني الجديد الذي يخالف اهداف سابقيه »

عظيم .. ولا خلاف بيننا .. وانى اتمنى ان يوجد عندنا امثال ابسن وشو وبرخت . كل الخلاف في الهوس والهنبقة .. اذ كان اعتراضه على مقالتي الاولى يقوم على انه يذهب مع الهوس وانا اقف دونه .. الهوس بمعنى الكلمة .. وهو الجنون . اما الهوس بالمعنى الذي اتى به وكلفه اياه فلا خلاف .. اعنى انه لا خلاف في الموضوع ، فانى لا اوافق على تحميل اللفظ مالا يحتمله ، بل مايناقض معناه .

اما الهنبقة فلا حيلة لى فيها .. وليأخذها الدكتور الصديق على انها شكل جديد اقتضاه مضمون جديد .. فانه يسرنى ان احيى هذا اللفظ القديم لاستعماله بدل « الهمبكة » العامية .

كشكول

● كانت محافظة السويس فى السنوات الاخيرة حقلا خصبا لتجارب الفكر الاشتراكى ، اقيمت بها مؤتمرات وندوات فكرية ، وانشيء بها معهد للتوعيه القومية . وكان لى شرف الاشتراك فى بعض هذا النشاط ، شدنى الى هناك الأخ **شعراوى جمعة** ، *كما شد غيرى من المشتغلين بالفكر فى القاهرة .*

ومنذ ذلك الحين ارقب هذا الرجل من بعيد ، واتوقع منه الكثير ... ولم يكن تعيينه وزيرا فى مجلس الرياسة المشترك غريبا على ، لانى كما قلت اتوقع منه الكثير .

● كتب الى الأستاذ عيسى متولى تعقيبا على مانشر فى الصحف عن مسابقة دولية ستنظم فى شاطيء المعمورة بالاسكندرية لاختيار ملكة جمال الشاطيء ، تدعى اليها ملكات الجمال فى الموانيء العالمية .

يقول الأستاذ عيسى :

« **ولو اننا قرانا ان هذه المسابقة ستجرى فى ميناء «نابولى» او «مرسيليا» لما بلغت بنا الدهشة الحد الذى بلغته حين قرانا انها ستجرى فى الاسكندرية .. وكنا نود ان تنظم مسابقات من لون آخر غير هذا اللون الذى يقوم على قياس حجم الصدر والساقين والخصر .. كنا نودان نقرا عن مسابقات لاختيار ملكات تتنافس فى كمال العقل وجمال التفكير وحسن التدبير والتمسك بالمثل العليا للأنوثة الفاضلة المتبصرة .. فليس جمال الجسم وحده جواز المرور الى تبوء عرش الجمال !! »**

واخيرا يقول : الست معى فى ذلك ؟

لا ، لست معك فى ذلك مع الأسف ..

اولا ـ لان مثل هذه المسابقات يقصد منها الدعوة الى السياحة فى بلادنا . وقد اصبحت السياحة عندنا الآن من اهم مصادر الدخل ، وتكسبنا الى جانب هذا سمعة عالمية طيبة .

ثانيا ـ لماذا يمتد خيالك ياسيد عيسى الى الصدر والساقين والخصر .. ؟ ثم ان هذه اشياء عادية جدا فى الشواطيء ، ام انك لاتصطاف .. ؟

ثالثا ـ مسابقات العقل والمثل العليا الى آخره .. لايمكن ان تقام .. **لان من تتحقق فيها تلك الصفات لن تلبى الدعوة !**

● نشرت مجلة القصة (عدد يونيه) حكاية بعنوان « **هزيمة الحب** » للأستاذ فؤاد القصاص ، وكتب عليها « **قصة بلا اسلوب** »

والواقع انها .. لاهى قصة ، ولاهى بلا اسلوب .. انما هى تشبه ملخص قصة طويلة .

ويقول الكاتب فى تقديمها :

« **والراى فى هذه التجربة متروك القراء .. والنقاد ..** »

انها كتابة حكاية .. تحكى حوادث فقط .. *وليست تجربة ادبية تستحق ابداء راى .*

● « **فى صحبة العقاد** » كتاب يوشك ان يصدر عن فقيد الادب الأستاذ عباس محمود العقاد ،بقلم الأستاذ محمد طاهر الجبلاوى الذى لازمه وصادقه اكثر من اربعين سنة . ويتناول ذكريات مطوية تجمع بين الادب والطرافة .

● جاء فى كتاب « **مع العقاد** » الذى صدر اخيرا فى سلسلة « اقرا » للدكتور شوقى ضيف ، ان العقاد « ولد فى ٢٨ من يونيه سنة ١٩٩٨ » وهو ـ لابد ـ تحريف **مطبعى لسنة ١٩٨٩** التى ولد فيها العقاد .

● الأستاذ زكى طليمات جاء الى القاهرة من الكويت ، حيث يعمل ـ فى شيخوخته الشابة .. مشرفا على النشاط المسرحى . **زكى طليمات هديتنا الفنية الى البلد الشقيق .**

● الأديب « **خميس سلمونة ـ ادكو بحيرة** » يقول :

« بالعدد الاخير من مجلة آخر ساعة والصادر يوم ١٩٦٤/٧/١ طلع علينا الأستاذ جليل البندارى بمقال عن (**المرحوم الفنان عز الدين ذو الفقار**) بمناسبة مرور عام كامل على وفاته . وفى نفس اليوم بجريدة الأخبار كتب جليل البندارى تلخيصا للمقال السابق .. واذكر انى قرات نفس المقالين بنفس الكلمات والعنوان فى العام السابق عقب وفاة الفنان المرحوم »

ويطلب منى الاديب خميس سلمونه الاجابة عن سبب ذلك .. والاجابة انما تطلب من الكاتب نفسه ..

« عباس خضر »

حول الأدب في أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

النبي والشعر :

وهذا عام آخر يأتي وأنت لا تزال تضيء ٠٠ وأنت لا تزال الاخضرار الذى يكسو الانسانية ، والذى يعطيها ألالاوتلقة فى الحياة ، والمتتبع لحياتك ورسالتك يعرف أنك قادر على « الحضور » فى كل مكان وزمان ، ويعرف أنك احترمت الانسان والحياة والغيب ، وأن الغيب عندك والايمان به ليس تشتيتا للانسان ، وانما استمرارا لعملية البحث والتنقيب وراء الشيء الجديد دائما ٠

ولقد تحدثت عن معرفتي بك ــ فى عيد الهجرة ــ فى القرية والمدينة ، وفى الصبا والشباب ، وأحسست ان دينك يحببنى فى الأديان ، وانسانيتك تجعلنى أعشق كل الانسانية وأضمها الى قلبي ٠

ولقد أحسست من عدة أيام أن الربيع ما زال يزدهر فى قلمى من طول ما حدقت فى عينيك ، وان يدى لما تزل دافئة من الشوق الذى أحسست به وأنا اتنهد ثم أنظر فى عمق الى كتاب وضعته أخيرا تحت اسم « الاسلام فى افريقية » ٠ ٠ وحين أردت أن أطرق بابك بالتاريخ أبى على الشعر ، وجاء فى ذهنى أنى سأقدم اليك باقة فجرية فى عيد ميلادك ، ولكنى ــ ولا أكتمك ــ وجدت البساتين تكاد تكون خالية من الاشجار المحمدية ٠٠ من الأزهار النبوية ٠٠ من الأوراق ٠٠ من الطيور ٠٠ من الأنسام !

وليس معنى هذا أن يسارع انسان فيذكر ان « الدين » لم يعد له مكان فى قلوبنا وحياتنا ، لأن الدعوة الى « التبشير المسيحى » والأفكار المسيحية كالخلاص ، والتطهير ، والانتظار ، والسلبية تكاد تملأ الشعر المعاصر فأكثر الشعراء اللبنانيين اليوم يحولون بلادهم الى « كاتدرالية » كبيرة وينظرون الى الانجيل أكثر مما ينظرون الى الحياة ، ويبالغون فى هذه الدعوة حين تراهم يهاجمون التراث بضراوة ، وحين نرى الشاعر **يوسف الخال** يتزعم هذه الحركة ويهندسها حتى ليخرج بها عن نطاق الشعر ، ولعل الشاعر أدونيس وضح هذا حين ذكر أنه شاعر التجربة المسيحية ، وأن فى مجموعته الشعرية « الحضور وفرح الحضور ، الحضور الخالد الجميل البكر ، حيث نحيا بهاء الارض ، ونحاوره ، ونشارك فيه ، حيث نقيم أعراس الوحدة بين العالم والاله وبين الاشياء والناس » ٠

فاذا نظرنا الى الشعر خارج لبنان وجدنا أسماء دواوين خارجة من الانجيل مثل : أقول لكم ، وأعطنا حبا ، وعلى الارض السلام ٠

ووجدنا بعض الشعراء الشعوبيين يحمل على العرب وينتقص منهم ، **فمحمد باقر سماكة** فى ديوانه « من حصاد الثورة » يحمل على العروبة المسلمة حربا شعواء ، ثم يختم الحملة بقوله :

سحقا لها من شعارات مضللة

براقة لفقت زورا وبهتانا

ومثل هذا نجده فى قصيدة « أين حقى » للشاعر **محمد صالح بحر العلوم** ، كما نجد ظلا لهذا فى الافساح للافريقية مكان العروبة عند الشاعر **محمد المهدى مجذوب** ٠

وبعض الشعراء تراهم يرفضون الدين وكافة الأسس التى يقوم عليها ٠

فالشاعر **حسين مروان** فى ديوانه «اللحن الأسود» يقول :

أنا لا أخاف من السماء

ولست أومن بالقدر

والشاعر **الجواهرى** يقول :

يقولون ان يدا فى الغيوب

تدير على الأرض حكم السماء

فما بال كف القضا لا تدور

على بلد ضل حتى اختزى

ومحمد مفتاح الفيتورى يصرخ في ديوانه «عاشق افريقية» :

«ما ثم اله يتجبر
كذب ما قالته الأديان»
«فالكلمة في شفة الله
والله على الأرض سجين
وأحس بشيء مصلوب
ينزع أطرافي المصلوبة»

والى جانب هؤلاء الشعراء نجد من يقدمون لقصائدهم ببعض آيات من الانجيل لغير ضرورة شعرية ، ففي قصيدة العودة **لفوزى العنتيل نجد** هذه التقدمة :

«صوت دم أخيك صارخ الى من الأرض .. فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك : سفر التكوين - ٤ - » .

ونجد من يرتكزون تماما على التراث المسيحى كما فى قصيدة حكاية قديمة **لصلاح عبد الصبور** :

كان له صحاب
وعاهدوه فى مساء حزنه
ألا يسلموه للجنود
او ينكروه عندما
يطلبه السلطان
فواحد أسلمه لقاء حفنة من النقود
ثم انتحر
وآخر أنكره ثلاثة قبل انبلاج الفجر
وبعد أن مات اطمأنت شفتاه
ثم مشى مكرزا مفاخرا بأنه رآه
وباسمه صار مباركا معمدا

فاذا جاء الى الرمز الاسلامى فى قصيدة الخروج وجدناه يقدمه فى صورة «التغليل» .

كما نجد من يتعمد نظم بعض آيات منه وبخاصة نشيد الانشاد ، ومن أمثال هذا النظم اليائس المستسلم :

المجد للذين فى العذاب يبسمون
المجد للذين بالرغيف يقنعون

ومثل هذا على تفاوت فى التأثير نجده فى بكائيات بدر شاكر السياب ومعين توفيق بسيسو ، ونزار قبانى فى مصلوبة الشفتين ، والصليب الذهبى وعبد الوهاب البياتى فى صليب الألم ، وأحمد كمال زكى فى باقة مر ، وفى عديد من القصائد التى قيلت فى عيد ميلاد المسيح وفى غيرها من المناسبات .

والظاهرة التى لا يشك فيها أحد ، أن أغلب قصائد الشعر الحر هى التى تحتضن هذا الاتجاه ، ذلك لأن هؤلاء الشعراء اما واقعون تحت تأثير بعض المثقفين الشديدى الذكاء ، واما لأنهم يعيشون فى المناخ الشعرى للبنان ، واما لأنهم يعتقدون أن القصيدة العمودية تمت بصلة شديدة الى التراث العربى ومن هنا كانت المبالغة فى الجانب الآخر ، واما أن القوامين على الدين الاسلامى يبالغون فى التحفظ على مثالياته ورموزه .

واذا أخذنا مثالا تطبيقيا نجد أن فكرة «الصلب» تكاد تلمس فى أكثر القصائد المعاصرة ، واذا قبل هذا من شاعر مسيحى يؤمن بالصلب ، فكيف يقبل من الشاعر المسلم الذى لا يعترف دينه بعملية الصلب هذه ، وعلى أى أساس يختار الشاعر المسلم هذا الا أن يكون «متأثرا دينيا» ، لا «متأثرا شعريا» والا لاختيار «زاوية شعرية» غير هاتين الزاويتين الدينيتين اللتين تتمثلان فى الصلب والرفع .

ونحن هنا لا نصادر تجربة الشاعر لأننا نؤمن بحريته كأعمق ما تكون عليه هذه الحرية ، ولكننا فقط نذكره بأن يكون أعظم رحابة ، وأن يضم اليه كافة التجارب الدينية والانسانية على اختلافها .

.. والآن لا أدرى ما الذى دعانى الى هذا الاستطراد ، لعله الجهد الذى بذلته فى العثور على **«أزهار عصرية»** ترفع الى الرسول فى ١٢ ربيع الأول عام ١٣٨٤ .

ولعله التذكير بالوجه النبوى الذى أحب الانسان والحياة ، بعد أن فتشت فى الشعر المعاصر فلم أجد أسماء دواوين تخرج من القرآن كما تخرج من الانجيل ، ولم أجد الا الهجوم من بعض الشعراء ، كما لم أجد آية قرآنية تظاهر قصيدة ، أو تنسج فى أبيات ، أو مواقف ورموزا تشغل الشاعر كما شغلته بعض المواقف والرموز .

ولعله أن أبلل بالدموع أزهارا قديمة لتزدهر ثم لتكون جديرة بيوم ميلاد **محمد بن عبد الله** !

وشهد شاهد !

فى العدد الثامن والاربعين من مجلة الرسالة تكلمت عن **يوسف الخال والشعر الدينى** ، وطالبت

برفع الوصاية الدينية أيا كانت هذه الوصاية عن الشعر ، وقلت ان هذه العصابة المتشددة تعرقل الشعر ولا تنميه ٠٠ ثم حين فتشت عن مثل تطبيقي لم أجد الا وجه الشاعر اللبناني يوسف الخال ، وقد كنت حريصا على تقديمه من خلال « مريديه » الذين يصرخون بالتشكيك في قيمة العربي والعروبة ، ويؤكدون أن المحور الجوهري للحياة العربية هو « الانحطاط » ، وان العربي الآن ليس أكثر من هيكل عظمي لانه يفقد فرديته من « أجل الاندراج في جماعة لا اسم لها ولا وجه » ، وان تراثه ينحرف ويتشوه وينغلق ٠

ثم من فوق هذه الانقاض يرفعون «يوسف الخال» لا لشيء الا لانه يقتصد في اصداره على المسيحية العربية أو الوثنية العربية ، وانه فقد التلاؤم بين التراث العربي ككل وبين الحاضر ، وأن شعره شعر ايمان مسيحي ٠

وقد رأينا أنه لايستخدم من الرموز الا مايخدم هذا الجانب، وانه يصدر عن الانجيل أكثر مما يصدر عن الحياة ، وفي الوقت نفسه يستخدم الاساليب التي لا تجري على النهج العربي السليم ، ثم ختمنا هذه الكلمة بقولنا :

«ان الالحاح على دين من الاديان بهذه الصورة في هذا العصر يحمل على الريبة والشك، وان هموم العربي المعاصر لم تعد ميتافيزيقية الى حد القول بأن افراز هذا اللون من الشعر يعتبر أمرا ضروريا وان التراث يجب ألا يقسم الى اسلامي وغير اسلامي لان هناك فقط تراثا عربيا يخصب التجارب المعاصرة وأن الشاعر يجب عليه ألا يعمل للفرقة والمناورات وللانغلاق الديني ، لان الصوت الصادق في هذه الفترة هو الغناء للانسان ومباركته وهو يشكل نفسه في المنطقة العربية » ٠

قلت هذا ٠

وما هي الا أيام حتى طلعت علينا مجلة الحوادث اللبنانية الصادرة في ٣يوليو (تموز)بالوجه الحقيقي للشاعر يوسف الخال ، فقد جاء فيها انه مهرج سفح كرامة فنه على أبواب السفارات الاجنبية ، وانه أداة حزبية رخيصة في يد منظمة لعبت وما زالت تلعب في شرقنا العربي «دور الأداة المشاركة في تنفيذ مخططات استعمارية بعيدة المدى» ٠

ثم يقول الكاتب اللبناني «الياس سحاب» :

ان يوسف الخال ذهب للاقامة في باريس عشرات الأشهر على حساب السفارة الفرنسية في أعقاب حملة السويس ، ويسمسر لغيره من أفراد شلته لعمليات أخرى من الطراز نفسه ، وعلى حساب السفارة نفسها ٠

ثم أخيرا ان وراءه «منظمة حرية الثقافة» التي تمولها شركات الاحتكار الصهيونية في أمريكا ٠

وبهذا يكون الاستاذ «الياس سحاب» قد أكمل لنا الصورة التي يراد تنصيبها على مقدرات الشعر العربي المعاصر !

لقد كنت حريصا على أن أقدمه من خلال شعره، وكان الاستاذ الياس سحاب حريصا على أن يقدمه من خلال سلوكه وتطلعاته ، وبهذا تكون الصورة قد امتصت اللحن الاخير في الفرشاة ، ويكون قد نزل على بعض الجوانب المزيفة في حياتنا الادبية ٠

ويكون قد ٠٠ شهد شاهد من أهلها !

الشاعر والفجر وافريقية :

كل شيء يزهر في أفريقية يخيل الى أنه يزهر في قلبي ، ولا أحسب أن تجربة انسانية معاصرة هزت عمري مثلما هزتني التجربة الافريقية في هذا العصر ٠٠ ولقد كانت هذه التجربة من الخصب بحيث جعلتني أضع فيها ثمانية مؤلفات ، جعلتني أحس انى صديق كل شيء في افريقية ، واني كنت معها وهي تتعذب ، ثم تنتصر ، ثم يعقد عليها الأمل في أن تتقدم للعالم السلام واحترام الحياة ٠

فالى افريقيتي الحبيبة :

والى مؤتمر القمة الذي يعقد الآن في القاهرة أقدم هذه الصورة الشعرية تحت عنوان «الشاعر والفجر وافريقية» متأثرا فيها بأن بعض المدن بجنوب افريقية يحرم على الافريقيين البقاء بها بعد غروب الشمس ، وقد شاق شاعر يعمل في منجم لماس «بجوهانسبرج» أن يرى فيها لمرة واحدة الفجر يصدح من عش الأفق ٠٠ لمرة واحدة

المنظر

جماعة من العمال تتحدث في قلق أمام منجم الماس الذي يبعد قليلا عن المدينة ‥ في انتظار خروج الشاعر ليغادروا المدينة معا الى قراهم الحزينة ·

هيا فلنسرع ·

افريقية : **فلنسرع نحو الغابات المخضرة ·**

افريقي : **ولنهر ضلت خطوته فمشى ، وتلوم في حفره ·**

افريقي : **والليل معروق عار لم يلمس من نور قطره ·**

افريقي : **فلنسرع حتى لانلقى في السجن السفاح وغدره ·**

افريقي : **لم يحضر شاعرنا ·**

افريقية : **انى ابصرت بمقلته عبره ·**

افريقي : **من سيغنينا حين نعود بما في الربوة من نضرة ·**

افريقي : **وبما في القلب من الآلام وما في الأعين من سمره ·**

افريقي : **ما خطبك يا «جومو» هلا طرزت لموقفنا فكره ·**

جومو : **قد بعت الرمح على حزن كي اطعم اولادى العشره ·**

والدرب لكوخى مفروش بزئير غضبان النبره ·

ما اجمل ان القى طفلى بسام اللفتة والنظره ·

سيقود على الدرب حياتى ‥ سيخلص من روحى الحيره ·

اتراه سيسالنى قوتا وبكوخى لم اترك كسره ؟

أفريقي : **لا تحلم ‥ لاتطلب رزقا في غير الافاق الحره !**

فالارض هنا ، والافق هنا ، وحنين الشمس المصفره ·

ملك للبيض · لحقدهم · للوجه الممتلىء الحمره ·

الشاعر : **ـ يخرج صارخا ـ ظهرى جلدوه في حقد ·**

افريقية : **أواه ‥ قد جلدوا ظهره ·**

افريقي : **ماذا قد قلت اليوم لهم من فكر لم نسبر غوره ·**

الشاعر : **قد قلت «بأن الماس دم للشعب ونجواه الثره ! »**

قد صحت « رويدك لا تضرب ! احفظ للشعب هنا سره !

المنجم كان يرد يدى · المنجم لم يكتم ذعره ·

فصرخت بما حسته يداى · بما قد فجر من صخره ·

لا شىء هنا الا الانسان يحاول أن ينسى ثاره ·

لن أترك ارض مدينتنا !

افريقي : **سنلاقى الموت على غره ·**

الشاعر : **بى شىء حر يدفعنى ان اشهد من وطنى سحره ·**

ساظل احدق طول الليل هناك لكى القى فجره

لن اخشى الموت وفى قلبى أمل يتفتح‥ كالزهره ·

الجميع : **الليلة سوف ندق الأفق لنعلن ميلاد الثورة !**

« عبده بدوى »

الكتب نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحى



شخصيات افريقية

تاليف عبده بدوى

ان المتتبع لتاريخ اية أمة يجد دائما خطا معينا يظهر واضحا احيانا وغامضا فى احيان اخرى ولكنه لا ينقطع ولا يغيب وانما هو هناك دائما موجود وقائم بشكل حى وفعال فى صلب تجربة تلك الامة عبر جميع مراحل تطورها يعطى لتلك التجربة خصوصية معينة وذاتية خاصة .

وليس ذلك فقط وانما نلحظ أن لدى بعض الامم التى دخلت التاريخ العالمى واثرت فى مجرى حياة الانسانية وبالتالى نالت تسمية « أمة عالمية » بمعنى أن تجربتها الحياتية لم تكن ذاتية ومغلقة ومنعزلة ضمن حدودها الجغرافية ، وانما امتدت الى خارج تلك الحدود نحو آفاق الانسانية الرحيبة والى صميم حياة الامم الأخرى فاثرت فيها وتأثرت وأفادتها واستفادت .

نلحظ لدى بعض الامم وربما غيرها قيمة معينة او مجموعة قيم تسعى لتوضيحها وبلورتها وتجسيدها مهما وسعها الحال وتمكنت من ذلك . والمتتبع لتاريخ حياة الامة العربية يجد الحقيقة الاولى والثانية واضحة ايما وضوح ، فثمة طيبة عربية نلحظها دائما مشرقة فى حياة هذه الامة ، ومضيئة فى صميم تجربتها ونمة ميل للعدالة والحقيقة .. والحرية .. والمحبة ..

واذا أردنا أن نتتبع هذه القيم العربية الاصيلة، فيجب أن ننظر اليها من خلال روادنا العرب العظام الذين وقفوا فى افريقيا بعناد وصلابة امام قوى الغرب التى كانت قد وضعت فى مخططها احتلال القارة ، وتقسيمها فيما بينها بوسائل متعددة كالكشف ، والتبشير ، والشركات ، والمعاهدات .. ومن وراء كل هذا قوة السلاح .

ولو قدر لهؤلاء العرب الافريقيين أن يتلاقوا ويتفاعلوا لامتنعت القارة الافريقية على هؤلاء المغتصبين ، ولما عرفت افريقيا الاستنزاف والتدمير، والتفرقة العنصرية ، فقد عرف القرن التاسع عشر ثورات **السلطان سعيد** فى زنجبار ، **واحمد عرابى** فى مصر ، **والزبير باشا** فى حوض النيل الأعلى ، **والسلطان رابح** فى حوض تشاد - الذى هزم الفرنسيين ثلاث مرات متوالية والذى مازال الناس فى أواسط افريقيا يتغنون ببطولته الخارقة كأسطورة قومية ضد الاستعمار ، وكذلك **الامام المهدى وخليفته فى السودان** - وماء العينين فى موريتانيا ، وكذلك ثورة « **حميد بن محمد بن جمعة الموحبى** » او « تيبوتيب » فى حوض الكونغو - كل هذه الثورات كانت موجهة ضد الغزو الاوربى .

ولعل قول « جرينفل » وزير الدولة فى حكومة الشهيد باتريس لومومبا ما يؤكد القيم العربية الانسانية ، حيث قال فى تصريح له ..

« لقد زور البلجيكيون كل شىء فى الكونغو فليست مدينة « ستانلى فيل » سوى مدينة « تيبوتيب » الذى أقام هذه المدينة قبل قدوم الرحالة « ستانلى » وليس العرب كما قالوا لنا تجار رقيق ، وانما هم تلك الموجة الانسانية التى اختلطت بنا ، وصاهرتنا وتركوا لنا لغة متولدة من لغتهم ، ودنيا ، وحضارة وسماحة تسوى بين الناس كما تركوا على ارضنا دماءهم والبلجيكيون يحصدونهم بالاسلحة الحديثة . وليس اعز علينا

شيء من هذا الدم العربي الذي سال في الماضي كما سال ويسيل دمنا الآن في بلادنا على ايدي نفس اعداء العرب في القرن الماضي » وقد ذكر الكتاب ثورات ومراحل نضال كل من عثمان دون فوديو في نيجريا والحاج عمر تال في غينيا ومنليك الثاني في الحبشة ووصل بنا المؤلف الى الوجه الحديث لافريقيا والى المرحلة الجديدة في نضالها البطولي ضد مغتصبيها فبعد ان كان نضالها في القرن التاسع عشر نضالا يتسم بطابع الدفاع ضد الغزاة الأوربيين نراها اليوم وقد اخذت شعوبها بزمام المبادرة في ايديها في نضال مستمر مليء بالبطولات السياسية ـ والكفاح المستميت . في سبيل الحرية والمساواة وازالة الفوارق اللونية ، والحواجز الوهمية واسترجاع الأرض الطيبة .. ومن خلال زعماء الاستقلال والقادة الوطنين الافريقيين نستطيع أن نرى وجه افريقيا الحرة .. ولا يفوت المؤلف وهو شاعر قبل كل شيء أن يذكر لنا الاغنية التي كان يرددها شعب كينيا باسره والتي تدور حول عودة الزعيم جومو كينياتا عندما سجنه المستعمرون .. حيث تقول الاغنية .

« .. وحينما تعود ياجومو كنياتا
يامن يدل اسمك على الحرية الملتهبة
ستزدهر حقول الكاكاو ، وتتمايل اشجار البن .
وترتفع اشجار الموز الى أعلى رغم ما يثقلها من ثمار
.. وحينما تعود ياجومو كنياتا
ستنام العيون المفتوحة بعد ان تكون قد ضمت اهدابها على كينيا !
ومن سيموت قبل أن يراك
فسيلقن اغنية عودتك الى طفله
ياجومو كنياتا »

وهكذا وضعت الشعوب الافريقية املها ومستقبلها وتطلعاتها المشروعة لحياة افضل في اشخاص زعمائها وقادتها الوطنيين قبل الاستقلال وبعده ـ **فجوموكينياتا** الذي بلغ السبعين من عمره مازال يتمتع بحيوية رجل الاربعين وهو الرجل الثوري الذي حمل السلاح في كل مكان ليقود كينيا نحو الاستقلال وهو الآن رجل الدولة الذي يحمل الخبرة والفهم لحماية هذا الاستقلال وتدعيمه ..

وكوامي نكروما الذي نشأ بين الكادحين ـ خصبا كالقرية ، قويا كالزمن ، صلبا كالحديد ، مفيدا كالمتجر ـ نراه يتوج دستور غانا الجديد بفقرة تتيح لحكومات غانا المقبلة ان تقرر ايجاد علاقات اتحاد او وحدة مع اية دولة افريقية اخرى ، ونراه يوثق صلاته بكل الرؤساء الوطنيين في افريقية ، ويسارع الى مؤتمر الدار البيضاء ، ويعلن دائما ان استقلال بلاده ناقص ما لم يظلل القارة علم كبير هو علم الحرية .

وسيكوتوري ـ قائد ـ غينيا ـ الذي يتميز بثوريته وتقدميته الواضحة الذي حشد قوى العمال والفلاحين ووضعها وجها لوجه امام مشكلاتها وامام الاستعمار نفسه ـ نراه وهو يخطو ببلاده خطوات اكيدة فيربط بين التعليم والعقلية الثورية في بلاده ، ويوازن بين اقتصاديات البلاد ويخلق لها مخططا جديدا يتفق وثرواتها ، ويدفع بالمرأة الافريقية الى ميادين الحياة العامة ، وفي خارج بلاده نراه ينادي بنظام الاتحاد الافريقي ويمد يده الى نكروما وموديبوكيتا . في اتحاد يرفع من مستوى القارة في الغرب ، ويقف وراء كل حركات التحرر في القارة مساندا ومؤيدا ، وكل قادة افريقيا ـ من موديبوكيتا رئيس مالي الى دكتور باندا في نياسالاند الى الشهيد الراحل لومومبا ـ الذي اغتالته يد الخيانة والغدر ـ كل هؤلاء زعماء جمعوا بين الذكاء وقوة التصميم والقدرة على تنظيم الجماهير والتأثير فيها .. حتى اصبحت افريقيا اليوم في حركة مستمرة نحو الانطلاق والتقدم والبناء .. ونحو القضاء على البقية الباقية من الجيوب الاستعمارية المنتشرة في القارة ..

ويبدو ان طبيعة الاستاذ عبده بدوي كشاعر قد تغلبت عليه كثيرا في موضوع هذا الكتاب .. فنراه يستخدم اساليب الشعراء الوجدانية الرقيقة في مواضع لا يمكن أن تخدم الموضوع الذي تعرض له فاذا كان يقصد بهذا الكتاب شرح تاريخ العرب في افريقيا فاعتقد ان هذا الموضوع كان في حاجة ماسة الى دراسة عميقة واعية غير أسلوب السرد التاريخي الموجز الذي استخدمه فجاء الموضوع اقرب الى المقالات الصحفية منه الى الدراسة الموضوعية واذا كان يود ان يقدم لنا الشخصيات الافريقية ـ كما هو عنوان الكتاب ـ فاعتقد انه كان في حاجة ماسة

الى أن يتزود بمعلومات كافية عن خطط وبرامج هذه الشخصيات التى ترمز كل شخصية منها الى دولة بأكملها .. لها خططها الخاصة بالتنمية ونظم الحكم والعمل السياسى الشعبى الذى يأتى بعد الاستقلال وسوف أضرب للمؤلف مثلا بسيطا وواضحا .. فعلى الرغم من انه لم يكتب عن الرئيس احمد بن بيلا مثلا .. فانه لو كتب عنه فلا يكفى اطلاقا تتبع نشأته فى طفولته الى ان يصير زعيما . كل هذا فى صفحات لا تتجاوز ثلاث صفحات كما فعل مع الرئيس موديبوكيتا .. وانما يجب عليه ان يتعرض للثورة الجزائرية وابعادها وتاثيرها ثم نظامها الاشتراكى والعقبات التى تواجه هذا النظام ثم طبيعة هذا النظام الاشتراكى بمحتوياته كالتسيير الذاتى مثلا - ونظام الحكم عن طريق الحزب الواحد الخ .. الخ ..

ولكن الأستاذ عبده بدوى اكتفى بذكر نبذ عن الحياة الشخصية لزعماء مثل جومو كينياتا وكوامى نكروما وسيكوتورى وموديبوكيتا - مكتفيا بتعبيرات شاعرية - وجملا انشائية مثل - هناك فى غرب افريقيا يتالق عملاق عظيم كالوسام على صدر القارة (يقصد الرئيس نكروما) ثم نراه يكثر من باقات النور - والمناجم التى تتوهج بكنوز الشعب الخ .. الخ .. ثم نراه فى آخر الكتاب يأتى لنا صادقا مع نفسه من حيث يلجأ الى الشعراء والنحاتين الافريقيين - والمغنيين الامريكيين الزنوج لكى يبدع فى وصفهم ويعطى الشاعر السودانى محمد المهدى مجذوب ست صفحات كاملة فى الوقت الذى يعطى فيه انطوان جيزنجا ثلاث صفحات فقط ويعطى الشاعر السودانى محمد محمد على سبع صفحات فى الوقت الذى يخصص فيه للرئيس موديبوكيتا ثلاث صفحات فقط .. وموديبوكيتا يعنى الكثير .. يعنى مالى بنضالها وحريتها واستقلالها ومعاركها مع البناء ومع قرننا ..

كلمة اخيرة اود ان اقولها ..

ان التقاء رؤساء اربع وثلاثين دولة افريقية فى القاهرة الافريقية بحكم موقعها ، العربية بحكم انتمائها الى امتها العربية التى خدمت قضايا الانسان الافريقى ودافعت عنه ضد التوسع الاستعمارى .. اقول ان هذا اللقاء التاريخى فى مؤتمر القمة الافريقى الثانى سوف يؤكد ويدعم قضايا الحرية المشتركة بين شعوب القارة التى عانت الكثير من صنوف الكبت والحرمان . واذا كان العرب قد حاربوا فى القرن التاسع عشر من اجل افريقيا ضد التوسع الاستعمارى فانهم اليوم يقفون سدا منيعا امام هذا التوسع بشكله الجديد .. الذى يتخذ من اسرائيل ركيزة له للانقضاض على حرية الافريقيين التى انتزعوها بدمائهم وتضحياتهم وبطولاتهم المجيدة ..

اننا حينما نقف بالمرصاد لقوى الامبريالية العالمية الممثلة فى الصهيونية التى تؤيد التفرقة العنصرية وتضطهد الملونين فى كل مكان انما ندافع عن حرية افريقيا وعن شرف الانسان الحر فى كل مكان - واذا كان معظم الرؤساء الافريقيين العظام الذين يشرفون وطننا بالقدوم اليه قد ذاقوا حياة التشرد واللجوء - فى مراحل نضالهم البطولى ضد الاستعمار . فانه لا يسعنا الا أن نطرح امامهم مشكلة مليون لاجىء عربى طردوا من ديارهم فى اكبر وافظر عملية سرقة استعمارية فى التاريخ الحديث ..

ان وجود اسرائيل المدعم بقوى الاستعماريين الصهاينة فى مواجهة المدخل الشمالى الشرقى لافريقيا لا يعنى سوى مراحل جديدة للتوسع الاستعمارى على حساب حرية افريقيا .. ولاشك أن المناقشات التى ستدور فى المؤتمر سوف تكون طويلة وهامة .. ولابد أن تنتصر فى النهاية كل الآراء التى تحمل عناصر ايجابية وقادرة على حماية الحرية الافريقية من كل الاخطار المتربصة بها وتكون قادرة ايضا على دفع الدول الافريقية الى الامام نحو الوحدة ، لأن الخطوة الاولى التى تمت فى العام الماضى لابد أن تؤدى الى خطوات اخرى فى نفس الطريق .

« تحسين عبد الحى »

البريد الأدبي

وظيفة الشعر

بقلم عبيد الشامية

اخالف الأستاذ « عبده بدوى » فى تحبيذه ذلك اللون من المنثور والاشادة به ، وتوليد المعانى الخفية التى تنطوى عليها الفاظه وتتلوى كالحيات ، لقد عرض لنا الأستاذ نماذج من كلام الخاوى لا هو بالشعر ولا هو بالنثر الفنى ، ودعاه شعرا والشعر منه براء . أقول ذلك لا عن حسيكة فى الصدر أحملها لهذا العبث الذى ان دل على شىء فانما يدل على أفكار سقيمة نبتت فى صدور ماجنة ونفوس مريضة تتلطخ جوانبها بغيوم الأهواء والمشاعر المسفة المكبوتة، فلا تجد منفذا الاتلك الأساليب الشوهاء، وذلك المسيخ الذى لا يعرف له رأس من ذنب .

ما وظيفة الشعر يا سيدى اذا لم يكن اثارة لحمية ، أو شحذا لهمة ، أو حثا على فضيلة ، أو متعة للنفس ، متعة تعد لها تطهيرا يدفع الى التسامى والعلياء .

اذا لم يكن عمل الشعر هكذا ، فلا كان .

والأمة العربية يا سيدى مقبلة على أمور خطيرة ، وأحداث جسام ، يجب أن يساير فيها رنين الشعر صليل الحسام ، أما هذا التفسخ فانه يقتل النخوة ويشل العزائم .

ولست فى حاجة الى تذكير الاستاذ بقول معاوية لابنه ، قال معاوية لابنه : يا بنى ، ارو الشعر وتخلق به ، فلقد هممت يوم صفين بالفرار مرات فما ردنى عن ذلك الا قول ابن الاطنابة :

أبت لى همتى وأبى بلائى
وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامى على المكروه نفسى
وضربى هامة البطل المشيح
لادفع عن مكارم صالحات
وأحمى بعد عن عرض صحيح

فى ذكرى محمد عبده

بقلم عبد المنعم ابراهيم

فى ذكرى الامام محمد عبده أقدم هذه الصورة عن حياة هذا الرجل العظيم تحية منى فى ذكراه .

الامام محمد عبده علم من أعلام الاسلام .. جاهد من أجل رفع رايته وعلو هامته وكيف لا يكون ذلك وهو صاحب الروح الاسلامية الناهضة الثائرة الداعية الى العمل بقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ووضع للناس كلمة مأثورة جامعة شاملة « انما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه » فكانت دعوة جريئة لمناهضة الفساد والثورة على الأوضاع العتيقة القديمة .. لقد كان الرجل مجددا مناضلا يتمنى أن يرى الحق واضحا جليا .. ويقاوم الباطل بثورة لا تعرف الرضا بالأمر الواقع .. فقد كان فى مقدمة الزعماء الذين أيقظوا مصر من سباتها الذى أسلمها اليه المستعمرون الظالمون .. وهو أول صوت ارتفع فى مصر ينادى بالعدالة الاجتماعية بين الطبقات وفتح أبواب العلم أمام الفقراء أبناء الكادحين .

والامام محمد عبده قائد من قادة الفكر العربى .. فلقد ثار على الجمود وعلى مناهج التعليم ودعا الى معارضة الدراسات النقلية والتقليدية ودافع عن الحرية الفكرية وناصر العلوم العقلية ودعا الى تصفية العقيدة من الأوهام والخرافات والامام محمد عبده مصلح اجتماعى .. ثار على الرشوة والمحسوبية وذم الاسراف والتبذير .. مناديا بمحاربة البدع الضالة التى تسمم أفكار الشعب وهو من المناضلين الذين اشتركوا فى الثورة العرابية بقلمه ولسانه ؟؟ أليس الامام محمد عبده هو الذى وقف فى وجه

الخديوى عباس واليس قلم محمد عبده هو الذى كان يوضح للشعب مساوىء أسرة محمد على ؟ واليس قلم محمد عبده هو الذى كان يعمل على علاج الضعف الموجود فى النفوس فعمل على تطهير العقـــول من الخرافات والبدع ؟

واليس محمد عبده هو الذى اسهم فى وضـــع برنامج الحزب الوطنى الأول وكان ينادى بالجمهورية وحكم الشعب نفسه بنفسه ؟

واليس محمد عبده هـو الذى ندد بالاحتـــلال البريطانى فى منفاه ٠٠ ؟

واليس محمد عبده هو الذى دعا الى التربيـــة القومية ايمانا منه بأن الاصلاح الاخلاقى يجب أن يسبق الاصلاح السياسى وذلك حتى تخرج للوجود جيلا قادرا على القيام بدوره فى اصلاح حال بلاده والنهوض بها بعد ركود ٠ ٠

والشىء الـذى آلم الامام ٠٠ وكـان يقف عثرة فى طريق برنامجه الاصلاحى : ما رآه من نفوس ضعيفة تدين بالانتهازية والرشـوة والمحسوبية

وكذلك آلمه حال امته بما فيها من أحزاب متنافرة لا تعترف الا بمصلحتها الشخصية ٠٠

وتمنى الرجل أن تبعث أمتـــه من جديد ولكن للأسف لم يتحقق ذلك وعـرف الرجـل السر ٠٠ كيف يتحقق ذلك والحاكم غير نزيه وغير شـجاع وأمين وغير قوى ٠٠ والآن لقد تحققت أحلام الرجل فى عهدنا المبارك ٠٠ عهد الاصلاح والتجديد ٠٠ فى جميع الميادين ٠

« مبكاك حن اليك »

للشاعر : يس الفيل

وســالت ٠٠ ما تعنيه ؟ قلت : تصـورى
وجزعت ٠٠ قلت : اليـك قيدى فانظرى
انا قـد مللت مع الجمود تمزقى وتحجرى
او تحقـدين ٠٠ اذا على اذا اقتنصت تحررى
وسخرت يابلهـاء ٠٠ ويحك ٠٠ ما جرى ؟
فنطقت ٠٠ كيف تعـاف أطباق الثرى !
او لست تعشقنى وتعشق ما احب وما ارى ؟
لا كان ماضيك الغبى ٠٠ فلست الا شـاعرا
انا قد رسـمتك ٠ هـل رأيت ؟ تخيـلى
من كنـت ؟ قـولى ٠٠ كيف كنت ؟ تعلى
انسيت يابلهاء ٠٠ ألوانى ، نسيجى ، مغزلى ؟
يا كم كسـوتك مخملى ٠٠ لكن ذبحت أناملى
من عمق أعمـاقى رسمتك للطهـارة ملحمة
سبحت مع القيثار ، عبر الليل ترشف أنجمه
لم تخش بأس النجم يوم حنا ٠٠ رأت ان تحطمه
نار الشهاب لما رأى ٠٠ ورمى الغباء فحطمه
وســالت ٠٠ ما هــذا ؟ نطقت ؟ تذكرى
قصص الغباء وئدتها ٠٠ ووئدت كل تصورى
كل الخبايا بعتها ٠٠ حناك !! جئت لتشترى
ابيع للنخـاس قلبى ؟ أم ابيـع تحررى ؟
مبكاك حن اليـك ، حن الى الصنم
عودى اليه ٠ بما حملت ، بما حملت من الندم
عـودى ٠٠ فلن أحيـا على شـفة الألم
ما زال مبكاك يتـوق شوقا للعدم
مازال يبحث عن هواه هناك ٠٠ فى مهج الرمم

ميلاد العقاد

للشاعر محمود شاور ربيع

فى ليلة فى ســالف الازمان
طلعت نجوم السعدفى «اسوان»
فى بيت «محمود» تالق كوكب
بهر العيون بشـدة اللمعان
فى ظل «فاطمة» وفيض هناءة
نشأ «الوليد» كاسعد الولدان

يتلو «الحديث» على الرواة ويرتوى
بهناءة من منهل « القرآن »
وشدا «اللحون» مفردا مترنما
«بالشعر» فى صدق من الاوزان
ورأى «الصعيد» يضيق عن طاقاته
فسرى يحث قوافل الركبان

واتى الى «بلد المعز» يعزهـا
بفصاحة ، وبلاغة ، وبيـان
وعلى هداه «المازنى» وحوله
«شكرى» يقول الشعر فى «مطران»
وتاججت فى «مصر» نارحماسة
تدعو الى الابداع والاتقـان
وعلى « المنابر » صيحة هدارة
يهتز منهـا شـامخ الاركان
وعلى «الصحائف» ثورة مشبوبة
تجتاح مثل قذائف البركـان
«عباس العقاد» اقبل نوركم
فانشر لواءك فى «بنى عدنان»
كانت على يدك الحياة جديدة
للشعر منظوما من المرجـان

..ورجعت للبلد الكريم مكـرما
كالشمس تشرق فى ذرا اسوان
يارائد الاجيال ذكرك خــالد
تشدو به بروائع الالحـان !

الثقافة بالاسكندرية
بقلم فتحى الابيارى

لايمكن لاحد ان ينكر ما للاسكندرية فى عالم الفكر والفن والثقافة من مكانة مرموقة منذ الماضي السحيق.. الى اوائل القرن العشرين . ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ، كان الكتاب والفنانون يزحفون الى القاهرة بشكل ملحوظ ، لذلك التمركز العنيف فى كل النواحى الثقافية والفكرية فى القاهرة . وجاءت الثورة.. وثارت على الاوضاع العتيقة ، وبدأت تضع نظام الادارة المحلية حتى تفتت من تلك المركزية التى احتكرتها القاهرة مدة طويلة . ونجح نظام الادارة المحلية ، ولكن للأسف مازال التمركز قائما حتى الآن .

فمثلا .. انشأت وزارة الثقافة والارشاد القومى دور الثقافة فى المحافظات لتكون مركز اشـعاع فكرى وفنى فى المحافظات والاقاليم . ونجحت هذه الدور فى اداء رسالتها . ولكن نجاح دار الثقافة بالاسكندرية كان ملحوظا لدى جميع المثقفين والمفكرين بالقاهرة ، اذ كان يعقد ندوة يومية يتناول شتى شئون الحياة الثقافية والاقتصادية والقومية والاجتماعية . وتم انشاء اول ناد للقصـة ، وناد آخر للشعر . واستمرت رسالة الدار فى نجاح مطرد .

ولكن توقف صرف المكافآت من شهر يوليو عام ٦٣ حتى هذا الشهر للنقاد والادباء والمثقفين الذين بذلوا مجهوداتهم لدفع الحركة الثقافية الى الامام . وكان الرد العجيب الذى اجاب به المسئولون ان الميزانية قد صرفت فى بند آخر !!! .. فكانت النتيجة التى انتهت اليها رسالة دار الثقافة بالاسكندرية ان الحاضرين من اساتذة الجامعة ، والادباء امتنعوا عن الاشتراك فى اى نشاط ثقافى بالمدينة احتجاجا على تلك المعاملة السيئة .

ردود قصيرة :

● تلقت الرسالة كلمة من « **محمد عبد الرحمن السحرتى** » .

يعلق فيها على الأعمال التى تتعمد الكتابة عن الجنس ، ويقول :

« ان الصحافة عمل وجهاد وفن ، وهى كما قال هيرست الحياة فى حروف وكلمات .

● **وعنتر عبد السلام مخيمر** .. يتقدم بالمقترحات الآتية للنهوض بالسينما :

● انشاء ادارة خاصة للتوجيه السينمائى تكون مهمتها التوجيه الواعى الحازم لنشاط القطاع الخاص والاشراف عليه اشرافا كاملا .. وقد جاء فى الميثاق « راس المال الفردى فى دوره الجديد يجب أن يعرف انه خاضع لتوجيه السلطة الشعبية » .

● تكوين لجنة تقويم ومتابعة تختص بنشاط القطاع العام .

● اصدار مجلة للسينما تستهدف تثقيف المشتغلين بالسينما .. وتعمل فى نفس الوقت على نشر الوعى السينمائى السليم بين الجمهور .

● تنظيم مسابقة سنوية للقصص السينمائية .

● محاربة الابتذال فى جميع صوره .. وتوقيع العقوبات الأدبية على المبتذلين او اقصائهم عن العمل فى السينما .

● الاهتمام بفتح اسواق جديدة للفيلم العربى .. والتدقيق فى اختيار الافلام التى تعرض خارج حدود الجمهورية العربية المتحدة .

● **الشاعر احمد حمدى** .. ارسل قصيدة بعنوان اغنية .

● **الشاعر بهاء الدين سليم عالش** .. أرسل قصيدة بعنوان شطائر .

● **الشاعر عبد اللطيف عبد الحليم عبد الله** .. كتب يقول :

مرت الأيام والحزن كظيم
قتل الصبر بقلم المستهيم
تفعل الآلام فينا والهموم
ما يراه الشعر اولى بالوجوم

فارس الأيام تذويه السنون
وهو طول العمر يطوى فى القرون
فترة التيه تغشتنا دجون
غاب موسانا على طور سنين

حب الطيور

تأليف : جي دي موباسان

ترجمة : شيرين عبدالجواد كردي

قرأت منذ لحظة وجيزة في احدى الصحف وبين الاخبار العادية مأساة حرب ، قتلها ثم قتل نفسه ، ماذا يهم هو أو هي ؟ حبهما فقط هو الذى يهمنى . وهو لا يهمنى لانه حزنى أو ادهشنى أو لانه قوانى وجعلنى أفكر ، بل لانه أعاد الى ذهنى احدى ذكريات شبابى ، ذكرى غريبة لمغامرة صيد حيث تجلى لى الحب كما تجلى الصليب للمسيحيين الاول وسط السماء .

لقد ولدت بكل غرائز الرجل البدائى وتطبعت بمناقشات وضوابط الانسان المتحضر ، فأنا مغرم من كل قلبى بالصيد ومع ذلك فمنظر الطائر الجريح والدم على ريشه ويدى يهز قلبى لدرجة تجعله يكاد يتوقف .

وفي تلك السنة برد الجو فجأة قرب نهاية الخريف ودعانى أحد أبناء عمومتى ـ كارل ده فيتى ـ لأذهب معه لاصطياد البط فى المستنقعات عند بزوغ الصباح .

كان ابن عمى هذا زميلا لطيفا فى الاربعين ، أحد سادة الريف ، ذا شعر أحمر ولحية ، بدين جدا ومرح يقطن فى منزل ريفى يقع فى سهل متسع يجرى خلاله نهر وتغطى الغابات الجبال التى على اليمين واليسار وهى غابات اقطاعية قديمة ما زالت بها أشجار بديعة وتوجد بها أندر أنواع الطيور الموجودة فى ذلك الجزء من فرنسا المزدحم بالسكان . وكانت النسور والطيور المهاجرة التى تجازف بعبور هذا الجزء المزدحم من الوطن تمرق بين أشجار البلوط الضخمة كما لو أنها قد عرفت وميزت فى هذه الغابة البدائية ركنا أمينا تأوى اليه خلال عروجها الليلى القصير .

وصلت لدى ابن عمى فى المساء وكان الجو صقيعا لدرجة تكفى لشق الحجر ، تناولنا العشاء فى حجرة واسعة تغطى جدرانها انواع مختلفة من النسور والبوم والبلابل والصقور والبجع ، منها ما هو جاثم على أغصان سمرت فى الجدران ومنها ما هو باسط أجنحته ، وكان ابن عمى نفسه بسترته التى من جلد كلب البحر يشبه طائرا غريبا من بلد بارد . وفى أثناء الطعام أخبرنى ابن عمى بالترتيبات التى اتخذها لتلك الرحلة ، وانه علينا أن نبدأ الرحيل فى الثالثة والنصف صباحا لنصل الى المكان الذى اختاره فى حوالى الرابعة والنصف صباحا وانه قد أقام هناك كوخا من كتلة من الثلج ليحمينا بعض الشىء من الريح العاتية التى تسبق انبثاق الصبح .

وبمجرد الانتهاء من الطعام ألقيت بنفسى على الفراش واستغرقت فى النوم على ضوء النار المشتعلة فى المدفأة .

وفى الساعة الثالثة أيقظنى ابن عمى فارتديت جلد شاة وارتدى هو جلد دب ، وازدرد كل منا فنجانى قهوة واكوابا من البراندى المسكر ثم بدأنا الرحيل يتبعنا حارس وكلبانا بلونجو وبيروت .

كانت الليلة من تلك الليالى التى تبدو فيها الارض ميتة من البرد والهواء المتجمد ثقيلا لا يقاوم ساكنا لا يتحرك فلا نسمة ريح تحركه . وكان القمر فى ربعه الاخير يميل كله الى جانب واحد ويبدو شاحبا وسط المكان ضعيفا حتى انه عاجز عن أن يتناقص ومضطر ان يظل هناك تمسكه وتشله : قسوة الجو ويرسل على العالم ضوءا باردا حزينا ، ذلك الضوء المتناقص الفانى الذى يعطيه لنا كل شهر عند نهاية مدته .

سرنا ، أنا وكارل ، جنبا الى جنب ، ظهورنا محنية وأيدينا فى جيوبنا وبنادقنا تحت أذرعنا وأحذيتنا ـ ملفوفة بالصوف حتى تستطيع السير على النهر المتجمد دون أن تنزلق ـ لا تحدث صوتا وأنا أرقب البخار الابيض المتصاعد الذى يكونه زفير كلبينا .

وصلنا الى حافة المستنقع ودخلنا أحد مضايق البردى الجافة التى تتخلل الغابة السفلى ثم أبصرت عند منحنى أحد المضايق كوخ الثلج الذى اقيم ليحمينا من العاصفة .

كان أمامنا ما يقرب من ساعة حتى تستيقظ الطيور المهاجرة فدخلت الكوخ ولففت نفسى فى سجادتى لأستدفىء ثم رقدت على ظهرى وأخذت أرقب القمر من خلال جدران الكوخ الشفافة ولكن صقيع المستنقع المتجمد وبرودة الجدران كانا يتخللانى

بقسوة فبدأت أسعل وقلق كارل ابن عمي وقال :

ـ لا يهم اذا لم نصتد كثيرا اليوم ، انى لا أريد أن تصاب ببرد ، فلنشعل النار لنستدفىء ·

وامر الحارس ان يقطع بعض البردى الجاف ·

حفرنا حفرة وسط كوخنا وفتحة وسط سقفه ليخرج منها الدخان وعندما ارتفعت ألسنة اللهب الحمراء الى القطع البلورية الشفافة بدأت تذوب بلطف وبلا ادراك كأنها تعرق ، ونادانى كارل الذى كان قد بقى بالخارج صائحا :

ـ تعال هنا وانظر !

خرجت من الكوخ فأخذتنى الدهشة لما رأيت · كان كوخنا المخروطى الشكل يشبه ماسة هائلة قلبها من النار قد غرست فجأة وسط المستنقع المتجمد · وبداخلها رأينا شكلين خياليين هما كلبانا اللذان كانا يستدفئان بجوار النار ·

وفجأة قطع الصمت صرخة حادة مرت فوق رءوسنا وعلى الضوء المنبثق من كوخنا رأينا سربا من الطيور البرية المهاجرة · لا شىء هناك يحرك الانسان مثل صرخة الحياة الأولى التى لا يراها الواحد والتى تمرق سريعا خلال الهواء المظلم وتبعد قبل أن يبدو الخط الاول من خيوط صباح أحد أيام الشتاء فى الأفق ولقد بدت لى تلك الصرخة التى حملتها أجنحة الطير فى هذه الساعة الجليدية من الفجر كأنها تنهيده روح من العالم البشرى ·

وصاح كارل :

ـ أطفىء النار لقد بدأ النهار يشرق ·

وفى الواقع كانت السماء قد بدأت تشحب وكانت اسراب البط تكون خطوطا طويلة سريعة تختفى بسرعة من السماء · وانبثق خط من الضوء فى الليل فقد أطلق كارل النار وانطلق الكلبان الى الامام

وبعد ذلك وبين دقيقة واخرى تقريبا كان كارل تارة وأنا تارة أخرى ، يصوب أحدنا بندقيته بسرعة وبمجرد أن يظهر ظل لسرب من الطيور على البردى ويسرع بيروت وبلونجون ـ وهما يلهثان ـ يسرعان لاحضار الطيور الجريحة ودماؤها ما زالت تنزف ·

أشرقت الشمس وكان اليوم صحوا ذا سماء زرقاء وكنا نفكر فى بدء الرحيل عندما مرق فوق رأسينا طائران ممدودا الرقبتين مفرودا الاجنحة فأطلقت عليهما النار وسقط أحدهما تحت قدمى تقريبا كان نوعا من البط البرى ذا صدر فضى · وفى السماء الزرقاء سمعت عويلا ··· عويلا قصيرا متكررا لقلب منكوب ، وبدأ الطائر الصغير ، الذى بقى طليقا ، يدور فى السماء فوق رءوسنا ناظرا لرفيقه الميت الذى كنت ممسكا به فى يدى بينما كارل راكع على ركبتيه وبندقيته على كتفه يراقبه فى شغف حتى يصبح فى مدى الطلق ·

وقال كارل :

وفعلا لم يطر بعيدا ، لف فى دائرة حول رءوسنا واستمر فى صياحه ولم تؤلمنى قط آنات توجع مثل هذا النداء اليائس وذلك النواح المحزن من هذا الطائر المسكين، تلك الانات التى ضاعت فى الفضاء ·

وتحت تهديد البندقية التى كانت تتبع حركاته شرع فى الطيران بعيدا ، وبدا مستعدا لمواصلة طيرانه بمفرده دون رفيقته ولكنه لم يستطع أن ينفذ هذا العزم فعاد يبحث عن رفيقته ثانية ·

فقال لى كارل اتركها على الارض ، سيقترب من مدى البندقية قليلا قليلا ·

وبالفعل اقترب منا غير مبال بالخطر مدفوعا بحبه الغريزى ، بعاطفته لرفيقته التى كنت قد اصطدتها منذ لحظة وجيزة ··· واطلق كارل البندقية ورأيت شيئا أسود يهوى بسرعة كما لو أن شخصا ما قد قطع حبلا كان يمسك الطائر فى السماء وسمعت ضوضاء سقوطه بين البردى وبعد فترة وجيزة أحضره لى بيروت ·

وضعتهما ـ وكانا قد بردا تماما ـ فى حقيبة صيد واحدة وعدت الى باريس فى نفس الليلة ·

منيرة عبد الجواد دكرودى



الثقافة والارشاد القومى

العدد ٥٢

الثمن ٣ مـ

الدار القومية للطباعة والنشر